وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

موسومة بـ:

القوى المحلية في مدينة قسنطينة وموقفها من الوجود العثماني (عائلتي عبد المومن والفكون أنموذجا 1522-1642م)

إعداد الطالبة:

حبيبة رزيق

إشراف الدكتورة:

رشيدة شدري معمر

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الجامعة	الصفة
د/ أمينة حمودي	جامعة البويرة	رئيسا
د/ رشيدة شدري معمر	جامعة البويرة	مشرفا
د/ ياسين بودريعة	جامعة البويرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018م

1440/1439هـ

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وعرفان

في البداية أشكر مولاي وخالقي الذي منّ علي بإتمام هذا العمل وانطلاقا من قوله:

(ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) سورة لنمل– الآية 40

وانطلاقا من قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم (من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه). رواه ابو داود(1672).

اتوجه بالشكر الجزيل وكل الإمتنان والعرفان إلى من قدم لي المساعدة من قريب أو من بعيد لإتمام هذا العمل، وأخص بالذكر أستاذتي المشرفة (شدري معمر رشيدة)، التي كانت لي سندا وعونا من خلال إرشادها لي ونصائحها القيمة وتوجيهاتها السديدة.

أسأل الله لها دوام الصحة والعافية وأن يجعلها الله منارة للبحث والباحثين.

إهداء

إلى من تطيب أيامي بقربها ويسعد قلبي برضاها إلى أغلى ما في الكون

أمي.

إلى من كان سند لي وعونا طوال حياتي ولم يذخر جهدا من أجلي

والدي الكريم.

إلى من أقرب إلي من روحي وبهم أستمد عزمي وإصراري إخوتي "وليد وعبد الحق وعبدالله" وأختاي "وسام وسماح" .

إلى خطيبي ونصفي الثاني إبراهيم.

إلى كل الأهل.

إلى صديقات الدرب والدراسة خاصة (حنان وحدة ومروى وسمية وفلة).

إلى جميع أساتذة قسم التاريخ

وإلى كل من وسعهم قلبي ولم يذكرهم قلمي.

إلى كل من عرفني.

حبيبة

قائمة المختصرات

- مج: مجلد
- ج: جزء
- تح: تحقيق
- تر: ترجمة
- مر: مراجعة
- ص: صفحة
- ط: طبعة
- تق: تقديم

P : Page

Opit : مرجع سابق

Ibid : نفسه

مقدمة

اتجهت اهتمامات الباحثين في الفترة الأخيرة إلى دراسة التاريخ المحلي في إطار تعميق مجال البحث والتخصص فيه أكثر، وعلى هذا الأساس ظهرت لنا دراسات جديدة في البحث العلمي، ومن هذا المنطلق بنيت دراستي الموسومة ب: القوى المحلية في مدينة قسنطينة وموقفها من الوجود العثماني (عائلتي الفكون وعبد المومن أنموذجا) ذلك أن قسنطينة عرفت ظاهرة القوى المحلية على غرار المدن الأخرى، والتي تمثلت في الأسر الكبرى والقوية التي تملك نفوذا كبيرا و واسعا ومكانة خاصة في المجتمع ، و سواء كانت هذه القوى المحلية ذات طابع ديني أو قبلي ، فإن ما كانت تملكه من مقومات وامتيازات جعلها المحرك الأساسي للمجتمع في غياب السلطة المركزية.

ومن أسباب اختياري للموضوع وخوض غمار البحث فيه ما يلي :

– ميولي الشخصي إلى دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية ، و رغبتي في الاطلاع والبحث عما كتب في تلك الفترة ، خاصة الفترة الأولى من الحكم العثماني في الجزائر.

– لقد شجعتني أستاذتي الكريمة على البحث في هذا الموضوع وتحقيق الأهداف الكامنة فيه ، وأشرفت عليا فيه ، فاقترحت عليا عنوانا مناسبا للبحث ، ألا وهو القوى المحلية في بايلك الشرق وموقفها من الوجود العثماني (عائلة الفكون وعبد المومن أنموذجا) .

– الرغبة في تقديم دراسة بسيطة حول هذا الموضوع ، والذي مازالت جوانبه غامضة .

– معرفة دور هذه القوى في تأخير الحكم العثماني للمنطقة ، ودور بعضها في تثبيته ، و ما مدى مسؤولية هذه القوى في الحفاظ على استقرار المنطقة .

ومن كل ماتقدم ذكره قمت قمت ببناء إشكالية الموضوع على النحو التالي: ما هي أسباب ظهور القوى المحلية خاصة منها الدينية في بايلك الشرق ، و دورها في تطور وتغيير مسار

الأحداث في البايلك ؟ وضمنا هذه الاشكالية أسئلة فرعية التي لا تخرج في مجملها عن نطاق التساؤلات التالية:

- ماهي مختلف القوى الدينية والفعاليات المميزة لقسنطينة ؟

- كيف تشكلت هذه القوى ؟

- وماهي عوامل بروزها بشكل كبير في قسنطينة ؟ ما موقفها من العثمانيين ؟

- وما هو السبب الذي أخر قيام سلطة عثمانية في قسنطينة ، رغم الوجود المبكر للعثمانيين على حدود هذا الإقليم ؟ و هل هذا ما أدى إلى اختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ دخول العثمانيين إلى المدينة ؟

وللإجابة على التساؤلات المطروحة اعتمدنا على خطة بحث ارتأيت تقسيمها إلى ثلاثة فصول:

مقدمة: تطرقت فيها إلى التعريف بالموضوع ودواعي اختياره ، والإشكالية المطروحة ، بالإضافة إلى المنهج المتبع والخطة المعتمدة في البحث ، والمصادر والمراجع المتعلقة بالدراسة ، و في الأخير الصعوبات المعترضة في هذا البحث .

وبعدها تلي ثلاثة فصول :

الفصل الأول : قسنطينة الموقع وأصل التسمية .

وهو بمثابة تمهيد للموضوع ، تناولت فيه الموقع وأصل التسمية ، بالإضافة إلى تاريخ قسنطينة ، وتاريخ سكانها .

الفصل الثاني : قسنطينة ما بين العهدين الحفصي والعثماني .

تم خلاله التعرض لأهم حقبة تاريخية عرفتها قسنطينة ، وهي الانتقال من الحكم الحفصي إلى الحكم العثماني ، والتعرض لمختلف أوضاع البايلك أثناء الحكم العثماني .

الفصل الثالث : القوى المحلية لبايلك الشرق وموقفها من الوجود العثماني (عائلة الفكون وعبد المومن أنموذجا)

ويعتبر هذا الفصل هو محور وأساس الدراسة ، حيث تم فيه التعرض إلى أهم الأسر المحلية في المنطقة وهما أسرتي الفكون وعبد المومن ، وموقفهم من الوجود العثماني ، وسياسة العثمانيين لاستمالة السكان لتثبيت الحكم في قسنطينة .

أما خاتمة الموضوع فهي عبارة عن حوصلة للنتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، كما ضمناها بعض استنتاجات حاولت من خلالها أن أجيب على التساؤلات المطروحة في مقدمة البحث .

وأثناء دراستي لهذا الموضوع ، اعتمدت على رصيد من المادة العلمية التاريخية المتمثلة في المصادر العربية ، وقد استعنت بشكل كبير على :

- كتاب منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية ، لصاحبه عبد الكريم الفكون الذي عايش أحداث عصره ودونها في مؤلفاته ، خاصة ماقدمه عن تاريخ عائلته العريقة، كما تناول بعض الشخصيات من الاسر ذات المكانة والقوة، وما يلفت الانتباه انه لم يتكلم ولم يشر إلى عائلة عبد المومن.
- وأحمد بن مبارك بن العطار في كتابه : تاريخ بلد قسنطينة ، الذي يحدثنا فيه عن تاريخ قسنطينة عاصمة بايلك الشرق وأهم المدن ،.
- و كتاب فريدة منسية في حال وصول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها ، لصاحبه صالح العنتري ، والذي تحدث عن بايلك قسنطينة و كيفية دخول العثمانيين البايلك ، وأهم بابات قسنطينة.

أما من ناحية المراجع ، فقد كان من أبرزها :

- جميلة معاشي في كتابها الأسر المحلية الحاكمة في بايلك قسنطينة ، والذي اعتمدت عليه بشكل كبير في معرفة هذه القوى المحلية ، وتأثيرها على البايلك .

إلى جانب اعتمادي على مجموعة من المراجع المهمة التي تحدثت عن تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة ، مثل :

- أبو القاسم سعدالله بكتابيه : تاريخ الجزائر الثقافي ، وشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون الذي يتضمن الحياة الثقافية والاجتماعية لبايلك الشرق في عصر عبد الكريم الفكون ، الذي استقرت في بشكل كبير.
- وكتاب نصر الدين سعيدوني ، الشرق الجزائري ، الذي تناول فيه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للبايلك في العهد العثماني .

ومن الرسائل الجامعية الهامة التي تناولت هذه الدراسة ، نذكر :

- فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، والتي استفدت منها في معرفة تاريخ الأسر المحلية في قسنطينة، خاصة ما بتعلق بأسرتي الفكون وعبد المومن .
- شدري معمر رشيدة ، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1516-1830م، والتي تطرقت فيها إلى تاريخ الأسر المحلية في قسنطينة ، والصراعات بينها.

إضافة على اعتمادي على بعض الكتب باللغة الأجنبية لإثراء الموضوع ، أذكر منها :

- GRANGAUD ISABEL , LA VILLE IMPENABLE.
- VAYSSETES , HISTOIR DE CONSTANTINE .
- MERCIER ERNESTST, HISTOIR DE CONSTANTINE.

والذين يتضمنون تاريخ قسنطينة في الفترة العثمانية .

و للإجابة عن الإشكال المطروح اعتمدت منهاجا تاريخيا يجمع بين عرض الأحداث وتحليلها من جهة ، ومقابلتها بأراء مختلفة من جهة أخرى ، لاستخلاص الحقائق التي من شأنها أن تقربنا أكثر من الأحداث كما جرت .

من الأكيد أنه لكل أمر جانب سلبي وإيجابي ، فمن ناحية الصعوبات التي واجهتني في موضوع دراستي :

- صعوبة التحصل على بعض المراجع باللغة الاجنبية وصعوبة ترجمتها نظرا لضيق الوقت ، كما أنه موضوع مهم وعميق يحتاج إلى دراسة أكبر ووقت كثير لمعالجته والإلمام بأهم جوانبه.
- شح المصادر والمراجع التي تتحدث عن أسرة عبد المومن وتاريخها بالتفصيل ، فكل ما وجد من معلومات حول الأسرة مجرد لمحة مختصرة ، في المقابل وجود مؤلفات كثيرة حول عائلة الفكون .

الفصل الأول: قسنطينة الموقع وأصل التسمية

أولا : الموقع الجغرافي والفلكي.

1 – الموقع الجغرافي والفلكي .

2 – أصل التسمية .

ثانيا : قسنطينة التاريخ والسكان .

1 – قسنطينة عبر التاريخ .

2 – التركيبة السكانية .

أولا :الموقع و أصل التسمية.

1 – الموقع الفلكي والجغرافي:

تقع مدينة قسنطينة فلكيا على خط عرض (23–36° شمالا ، وخط طول 35–7° شرقا)[1]، وترتفع ب621 م الى 740م عن سطح البحر[2] ، حيث تحتل موقعا متميزا، فهي تتوسط شرق الجزائر ، و تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 437 كلم ، وعن عنابة ب156 كلم ، وتحدها من الشمال ولاية سكيكدة 83 كلم ، ومن الغرب ولاية ميلة 50 كلم ، ومن الجنوب ولاية أم البواقي 100 كلم ، ومن الشرق ولاية قالمة 106 كلم[3].

أما بايلك الشرق بصفة عامة جبلي في معظمه ، من حيث المظهر التضارسي ، تلتقي في وسطه سلسلتا جبال الاطلس : الشمالية التلية ، والجنوبية الصحراوية عند كتلة جبال الأوراس ، وفيه حوض وادي الصومام والسهول العليا القسنطينية ، التي تمثل الجزء الشرقي من اقليم الهضاب العليا الجزائرية ، إلى جانب منبسطات تبسة ، وحوض وادي سوف ، واواد ريغ ، وسهول عنابة ، وسكيكدة [4]، ويتخلل هذا الاقليم في القسم الشمالي منه نسبة

---

1 – يمينة سعودي ، الحياة الأدبية في مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية ، مذكرة ماجيستير قسم اللغة العربية ، جامعة قسنطينة ، 2005م ، ص 11 .

2 – العياش الهواري ، المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، مذكرة ماجيسستير ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة، 2011م ، ص 9.

3 - عبد القادر دحدوح ، مدينة قسنطينة دراسة عمرانية أثرية ، أطروحة دكتوراه ، معهد الاثار ، جامعة بوزريعة ، 2010م، ص 22.

4 - محمد الصالح بن العنتري ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها(تاريخ قسنطينة) تح : يحي بوعزيز ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009م ، ص 17.

متوسطة من الرطوبة في الشتاء ، لارتفاعه ، وقربه من جهة البحر الشمالية المتوسطية ، أما فالقسم الجنوبي الصحراوي فيتميز بالجفاف ، حيث يعتمد على المياه الجوفية كثيرا[1] .

ومدينة قسطنطينة كما يسميها العثمانيون ، أو العامة من الجزائر قسمطينة، على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية[2] ، وكلها مبنية فوق أقواس تعود إلى العهد الروماني، وهي من أكبر المدن الإفريقية قوة و حصانة ، وهذا ما أشار إليه المؤرخ الحميري، حيث وصفها قائلا<< ...من مشاهير بلاد افريقية بين تيجس وميلة ، وهي مدينة أولية كبيرة آهلة فيها أثار للأول ...قسنطينة حصينة في غاية المنعة والحصانة ، لا يعلم بإفريقية أمنع منها ، بل ليس لها نظير إلا مدينة رندة بالأندلس...لكن هذه القسنطينة أعظم وأكبر وأعلى ، فإنها على جبل عظيم من حجر صلد...>>[3] ، وحتى ابن المبارك ابن العطار قد أشار إلى هذه الحصانة ، بقوله <<...كما عرفت بالحصن الافريقي ،حيث يضرب بها المثل في التحصن ..>>[4] ، كما أنها تقع على ثلاثة أنهار محيطة بها[5] ، بالإضافة إلى خندق كبير يدور حول المدينة من ثلاثة جوانب ، ولها نهر كبير يصب داخل ذلك الخندق[6] .

---

1 – العنتري ، المصدر السابق ، ص 17.

2 – الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، ط 2 ، تر : محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، ج 1 ، 1987م ، ص 54.

3- محمد بن عبد المومن الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ط2 ، تح : احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984م ، ص481.

4- الحاج أحمد ابن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح: عبدالله حمادي، دار الفائز، قسنطينة،2011م ، ص96.

5 – أبي عبيد الله الكري ، المسالك والممالك ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ، ص63 .

6 - الحميري ، نفسه ، ص 481.

وقد وصف الحسن الوزان المدينة ، قائلا<<... هي مدينة قوية ، ليست كبيرة جدا ، ولا صغيرة أيضا ، وعليها سور كبير ، وفيها ثلاثة أبواب ، وهم، باب الوادي ، وباب الجابية*، وباب القنطرة...>>[1].

وهناك من يرى أنها تحتوي على أربعة أبواب وهي : باب القنطرة الذي يقع في الشرق الذي بناه الإسبان ، أما الأبواب الثلاثة فهي تقع في صف واحد ، باب الجديد ،والباب الشرقي يسمى باب الجابية ، وباب الوسط المعروف بباب الواد[2].

وقد قدم القنصل الأمريكي "وليام شالر" وصفا مختصرا لأهمية موقعها ، قائلا<<... وموقع قسنطينة من أعظم المواقع التي يتصورها الإنسان ، ومتى أشرفت على إدارتها حكومة حكيمة ، يمكن للمدينة أن تأمل في الحصول على فوائد جمة...>>[3].

وكانت قسنطينة مركز السلطة العثمانية ببيالك الشرق الذي يعد من أكبر البايلكات في الجزائر ، وعاصمته قسنطينة وهي أكبرهم وأهمهم ، وهو أخصب الاقاليم وأكثرها اتساعا ، مما جعل الفرنسيين مع بداية الاحتلال يعتبرونه شبه مملكة [4]، يحد بايلك الشرق شمالا البحر الأبيض المتوسط ، وشرقا حدود تونس[5]، ومن الجنوب الصحراء ، وغربا جبال

*أحد أبواب قسنطينة الجنوبية الغربية ، والجابية الحوض ، أي بناء يجمع فيه الماء ، كما تطلق على الحومة التي تخص اليهود في باب الجابية ، ينظر : ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص125.

1 – الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص56 .

2 – فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي 1832 – 1837 م ، تر : أبو العيد دودو ، الجزائر ، 2007 م ، ص 73.

3 – وليام شالر ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824م ، تع : اسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص 36 .

4 – عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط 1 ، دار ريحانة ، الجزائر ، 2002م ، ص 104 .

5 – رياض بولحبال ، أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق) ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ وعلم الأثار ، جامعة قسنطينة ، 2009 – 2010 م ، ص 9 .

البيبان وسفوح جبال جرجرة [1] ، ويدخل ضمن إقليم البايلك برج حمزة (البويرة)،لأن القائد المكلف به ، كان يعين من قبل باي قسنطينة[2].

واستقرت مدينة قسنطينة بهذه الحدود منذ التقسيم الإداري الذ وضع سنة (937هـ/1565م) ، حتى ما بعد الاحتلال الفرنسي بسنوات ، ويعد أكبر الأقاليم مساحة وتنوعا في البنية الديمغرافية والجيولوجية ، وتعتبر تضاريس تكوينه من المميزات والخصائص الحيوية والاستراتيجية الممثلة لهذه المنطقة[3].

1 – صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 25.

2 – رياض بولحبال ، المرجع السابق ، ص 22.

عبد الرزاق قشوان ، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة(936-1253هـ/1592-1837) ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر 2، 2009م ، ص 11.

2- أصل التسمية :

عرفت مدينة قسنطينة بعدة تسميات عبر تاريخها الطويل الحافل بالأحداث، إلا أن هذه الأحداث التاريخية الطويلة جعلت هذه المدينة، محط أنظار المؤرخين والكتاب والباحثين المهتمين بتاريخ البشرية وتاريخ الأمم ، وتاريخ قسنطينة خاصة لكونها مدينة استراتيجية احتضنت جزءا لأهم الحضارات التي أسسها الإنسان عبر التاريخ .

إن هذه الحقبات الزمنية التي عاشتها قسنطينة ، قد تركت لها العديد من الأثار التي انفردت بها عن المدن الأخرى ، وخلدت تاريخها وتاريخ حكامها، ومن بين هذه الأثار التي سنتعرف عليها اليوم بدون إطالة ، هي التسميات التي خلفتها تلك الحضارات على هذه المدينة ، والتي اختلفت من حقبة الى أخرى ، وكل تسمية لها تاريخها وميزتها الخاصة .

لقد تعددت هذه التسميات ، و اختلفت في بعض الأحيان من تعريف الى آخر ، ومن مصدر إلى آخر ، فهناك من يعرفها أن قسنطينية ، بضم أوله وفتح ثانيه ثم النون ، وكسر الطاء ، وياء مثناة من تحت ، ونون أخرى ، وبعدها ياء خفيفة ، وهاء، مدينة وقلعة يقال لها قسنطينية الهواء وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد ، وهي من حدود افريقية مما يلي المغرب ، لها طريق واتصال بأكام متناسقة جنوبيها ، تمتد منخفضة حتى تساوي الأرض وحولها مزارع كثيرة ، وإليها ينتهي رحيل عرب إفريقية[1].

كما قدم لنا أيضا صاحب كتاب "تحفة الزائر" تعريفا مفصلا لأصل الكلمة على النحو التالي ، حيث ذكر <<...قسنطينة ، بضم القاف ،وفتح السين ، وسكون النون، وكسر الطاء بعدها ياء ساكنة ، ونون مفتوحة ، وآخرها تاء للتأنيث، أصلها لقبائل كتامة ودخلها الفينيقيون ملوك الشام من كولونية ، سنة ثمانمائة وست وثمانين قبل المسيح عليه السلام،

[1] – الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، ج4 ، دار البصائر ، بيروت ، ص349.

واسمها في القديم سيرتا ، وكانت عاصمة أدربال النوميدي في سنة أربعمائة وثمان وعشرين بعد المسيح عليه السلام ...>>[1]، رغم وجود بعض الاختلافات في التعريف الا انهما متقاربان بعض الشيء.

وهي مدينة قديمة بناها الرومان[2]،وقد عرفت قسنطينة في القرون الوسطى باسم سيرتا الرومانية أو كرتا{cirta} او كرتن وهي الكلمة البونية التي وجدت مكتوبة على أحد العملات القديمة والتي تتكون من أربعة أحرف هي (ك – ر – ت – ن)، ومجموع هذه الحروف يشير الى إسم (كرتن) أو كرتا القديمة[3]، ويبدوا أن قسنطينة قد عرفت أولا باسم كرتن ثم اسم سرت، وهذا ما أشار اليه العالم الالماني هابنسترايت ، حيث قال أن سرتة تحريف لكلمة قرطة {kartha} البونية التي تعني المدينة، وهو الاسم الأول الذي حملته قسنطينة [4]، عندما كانت مستعمرة نوميدية* و عاصمة لسلاطين نوميديا[5].

و يبدو أن المدينة أسست من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، و لم تخضع لأي أمير لكنها كانت تابعة لسلطان افريقية[6].

---

[1]-– الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في مآثر الامير عبدالقادر وأخبار الجزائر، ط 1، عني به : داوود بخاري ، رابح قادري ، دار الوعي ، الجزائر ، 2012م ، ص30.

2– الحسن بن الوزان ، المصدر السابق ، ص 54.

[3] - – سعودي يمينة ، المرجع السابق ، ص 11.

[4]- – ج. أو . هابنسترايت ، رحلة العالم الالماني ج . أو . هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م) ، تر : ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الاسلامي ، تونس ، ص 89.

*نسبة الى اقليم نوميديا ، وهو جزء من افريقيا بين قرطاج وموريتانيا ، أي انه يشمل القطر التونسي كله وشرق الجزائر ، الى حدود بجاية ، ينظر : يمينة سعودي ، نفسه ، ص 13.

5– محمد بن عبدالقادر ، نفسه ، ص30.

6 – الحسين بن محمد الورثيلاني ، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار (الرحلة الورثيلانية)،ج 1 ، مطبعة بيير فونتانا ، الجزائر ، 1908م ، ص 686.

وقد أشار الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا ، قائلا {...إسم قسنطينة في القديم سيرتا ، وهو إسم كنعاني فينيقي ، وفيها اشتهر ماسينيسا الشجاع الذي أراد أن يحصل على استقلال البربر ، بواسطة روما ، فخابت أماله ، ثم أصبحت سيرتا مستعمرة رومانية ...}[1].

وعرفت أيضا باسم {مستعمرة سيتوس }[2]، وسميت ايضا بالحصن الافريقي ، وذلك نسبة لأسوارها المنيعة وقلاعها المحصنة[3]، كما ذكرنا سابقا.

ويبدوا أن جل الكتاب قد اتفقوا على هذه التسمية(سرت) ، وهي الواردة بكثرة في تعريفاتهم لقسنطينة ، فحتى الورثيلاني نجده يذكر هذه التسمية، وهو يصف مدينة قسنطينة ، قائلا { وبلاد سرت هذه من أخصب البلاد ، وامرأها أي أكثر أرزافها ، ذات مزارع كثيرة باليعل أي بلا سقي وإنما تسقى بالمطر ، وعربها أهل رفاهية ، إلا أن الجور أجلاهم من بلادهم وشتت شملهم ولا يكاد أمرهم ينتظم}[4].

وبالإضافة الى التسميات السابقة فقد عرفت كذلك ببلد الهواء أو الهوى ، والتي أشار إليها "ابن المبارك ابن العطار" قائلا ان هذه التسمية قد وردت في القصيدة التي كتبها أحد شعراء قسنطينة اثناء الدخول الجيش الحفصي اليها قائلا :

وسار وسارت خلفه و أمامه

نجائب تخطوا تحتهن النجائب

ومن تونس وفت قسنطينة الهوى

1– الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 55.

2– عبدالله شريط ، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة ، 1965م ، ص34.

3 –نفسه ، ص14.

4– الحسين الورثيلاني ، المصدر السابق، ص217.

لتسع ليال خيله و الركائب[1].

وتعتبر المدينة من أقد المدن، ولك ان من بناها هو الذي بنى مدينة قرطاجنة [2].

أما فيما يخص التسمية، فهناك من يرى أن قسنطينة وهو الاسم الحالي للمدينة ، أنه مستمد من اسم الامبراطور قسطنطين* ولك بعدما أعاد الإمبراطور قسطنطين في ، أول القرن الرابع للميلاد بناءها ، وسميت باسمه، وقد خففها الاستعمال العربي بحذف ياء وطاء فصارت قسنطينة[3]، و هذا ما أكده العالم "جون هابسترايت " ، حيث ذكر { أن مدينة قسنطينة ، تسميتها مستمدة من اسم الإمبراطور قسطنطين ، لأن كل القطع المعدنية التي عثرنا عليها في تلك الجهات ، تعود إلى عهد هذا الحاكم }[4].

ولابن المبارك بن العطار رأي في هذا الطرح ، حيث ذكر {...اختلفت المصادر فيمن بناها ، فقيل بناها قسطنطين الذي بنى القسطنطينية العظمى ، التي اسمها اليوم اسلانبول ، وهي المسماة بلغتنا اصطنبول ، وقد اقترن اسم قسنطينة باسمه ...}[5]، وهناك من يرى أن اسم قسنطينة محرف من كلمة قصر–طينة ، وتغيرت صيغة الكلمة بحكم النطق المتغير والتطور الزمني ، واستبدل الصاد سينا والراء نون لتصبح الكلمة قسنطينة[6].

وقد وردت تسمية المدينة في بعض الكتابات التاريخية باسم قسمطينة، وخير دليل على ذلك هو ما وجد في كتاب رحلة العياشي ، حيث ذكر اسم المدينة قائلا <<...وممن

1– ابن المبارك بن العطار ، المصدر السابق ، ص 21.

2 – نفسه ، ص 22.

*قيصر روماني حكم من سنة 306الى 337م ، وهو الذي أقر الديانة المسيحية للإمبراطورية الرومانية عام313 م ، ينظر : ابن المبارك ابن العطار ، نفسه ، ص95.

3– الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 55.

4 – هابسترايت ، المصدر السابق ، ص 89.

5– ابن المبارك بن العطار ، نفسه ، ص13.

6– يمينة سعودي ، المرجع السابق ، ص15.

لقيته بطرابلس...سيدي عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم الفكون القسمطيني ، ... ،وهو امير ركب الجزائر وقسمطينة ...>>[1]، وهذا المصطلح او التسمية لازالت الى يومنا هذا متداولة بشكل كبير على لسان العامة.

ونجد لها اسم آخر وهو حصن–طينة ،وهو ما جاء على لسان المؤرخ احمد ابن الخطيب ، المعروف بابن قنفذ القسنطيني المتوفى سنة 810م ، وذلك في ارجوزته المسماة بالسراج ، حيث جاء في اخر جزء مايلي :

ثم صلاة الله ذي الجلال على النبي المصطفى و الآل

وصحبة تترى على الترتيب من أحمد بن أحسن الخطيب

يعرف بابن قنفذ اشتهاره من –حصن طينة – فتلك داره

اتى بها الرجز المهذب بفاس الكبرى من أرض مغرب[2].

ورغم الاختلافات والترجيحات التي سجلناها بين الباحثين والمهتمين بدراسة هذه المنطقة، وخاصة موضوع اصل التسمية لمدينة قسنطينة ، قد رأينا تباعد في الأراء في بعضا الاحيان ، وتقارب البعض بشكل نسبي، إلا اننا لم نصل إلى حد الإجماع بين المؤلفين على تعريف واحد.

ومن هنا يمكن القول ، أنه رغم اختلاف الحضارات التي استقطبتها حاضرة قسنطينة ، منذ العهد البوني إلى غاية الفتح الاسلامي ، فمن المؤكد أن كل هذه التسميات واردة ، وصحيحة ، والمرجح أن اسم قسنطينة هو ما جاء به ابن قنفذ أنها مستمد من كلمة حصن

[1]- أبو سالم عبدالله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية 1661–1663م ، ط 1 ، تح: سعيد الفاضلي ، سليمان القرشي ، دار السويدي ، الامارات ، 2006م ، مج 2 ، ص 514.

[2] – يمينة سعودي ، المرجع السابق، ص15.

طينة وهو الأقرب من الصحة ، لكون أن هذا الأخير هو ابن المدينة أبا عن جد وذو أصول قسنطينية ، وهو أعلم بتاريخها ، والعلم لله عز وجل .

ثانيا : قسنطينة التاريخ و السكان .

1 –قسنطينة عبر التاريخ : شهدت قسنطينة منذ تأسيسها العديد من المحطات التاريخية ، التي جعلتها تكتسب أهمية اقتصادية و مكانة حضارية ، على غرار المدن الجزائرية الاخرى ، وذلك كان نتيجة لاحتضانها مختلف الحضارات العريقة التي مرت في تاريخ البشرية ، والتي خلفت ورائها تراثا وأثارا، جعلت الباحثين والمؤرخين يولون اهتماما كبيرا لدراسة هذه المدينة ، والتعرف على أهم محطاتها التاريخية ، وفي هذا السياق سنتعرض لتاريخ المدينة منذ تأسيسها ، ولأهم الخلفيات التاريخية التي عرفتها.

1 – 1 . قسنطينة في الفترات القديمة :

قد أشار ابن العطار إلى تاريخ قسنطينة ومن استوطنها في البداية ، وقال ما يلي <<...إن قسنطينة سميت في القرون الوسطى سيرتا ، وكانت عاصمة لسلاطين نوميدية ، فكان لصفاقص منهم قصر عظيم ، ولماسينيسا* والملوك الذين جاءوا بعده قصورا وعنوا بها فزينوها ونظموها ، وجلبوا اليها التجار اليونانيين والرومان ...}[1].

كان أول استقرار بشري بقسنطينة منذ عصور ما قبل التاريخ ، بحيث سكنها الانسان منذ بداية الزمن الجيولوجي الرابع ، وذلك لاحتوائها على كل متطلبات الحياة آنذاك ، من ماء ، وتربة خصبة ، وكثرة الكهوف الصخرية التي كانت ملجأه الوحيد ، وقد عثر الأثريون على مخلفات بشرية ، تعود الى العصر الحجري[2] .

*ماسينيسا ابن غايا ولد سنة 240 ق.م بقرطاجة ، توفي 149ق.م ، ينظر : دحدوح عبدالقادر ، المرجع السابق، ص66.

1– ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص17.

2– دحدوح ، المرجع السابق، ص 65.

عرفت قسنطينة نوعا من الاستقرار والتطور والانتظام ، وذلك في عهد ماسينيسا النوميدي[1]، وأصبحت عاصمة له منذ القرن الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام[2] ، وفي هذا السياق قد ذكر مارمول كربخال ما يلي : {...وكانت قسنطينة إمارة من إمارات نوميديا ...وكان أغلب شعوب بلاد نوميدية خاضعة لحكم أشراف بلادهم ، ولهم شيوخهم ، أو أمراؤهم الخاصون ...}[3].

وكانت المدينة في عهد ماسينيسا تنافس مدينة قرطاج ،فنزح اليها الفينيقيون الذين امتزجوا ببني كنعان سنة 1300 ق.م ، واستقروا بها ، واطلقوا عليها اسم كرطة أو كرتن[4]، وهذا ما أشار اليه صاحب كتاب "تحفة الزائر" ، بقوله {...قسنطينة ، بضم القاف ....اصلها لقبائل كتامة ، ودخلها الفينيقيون ملوك الشام من "كولونية " ، لما خرجوا لإفريقية من "صور" سنة ثمانمائة وست وثمانيين ، قبل المسيح عليه السلام ...وكانت عاصمة ادربال النوميدي سنة أربعمائة وثمان وعشرين ، بعد المسيح عليه السلام ، واستولى عليها وعلى تلك النواحي الوندال من اسبانيا ، ولم يزل ملكهم فيها الى ان استولى عليها المسلمون ...}[5].

وبعدما دب الضعف في المملكة النوميدية ، شهدت مدينة قسنطينة اضطرابات نتيجة الصراع القرطاجي الروماني في ظل الحروب البونية ، بعدما أعلن ملك نوميديا الشرقية "غايا" والد الملك ماسينيسا وقوفه الى جانب القرطاجيين ضد الرومان ، ثم انتهز أمير نوميديا الغربية سيفاكس الوضع وتحالف مع الرومان ضد غايا وابنه ماسينيسا[6].

---

1 – دحدوح ، المرجع السابق ، ص67.

2 –روباربرنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من (ق13إلى نهاية ق15م)، ط1، تر : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ، ج 1، 1988م، ص 418.

3 – مارمولكربخال ، إفريقيا ، ج 3 ، تر : محمد حجي وأخرون ، دار المعرفة ، الرباط ، 1409هـ/1989م ، ص23.

4 – هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص 89.

5 – محمد بن عبد القادر ، المصدر السابق ، ص 30.

6 –يمينة سعودي ،المرجع السابق ، ص 18.

ودامت الحرب لمدة قرنين من الزمن ، فأثرت هذه الحروب على المدينة[1]، وبعد وفاة ماسينيسا استولى الرومان على قسنطينة ، وأصبحت مستعمرة رومانية ، وهذا على حسب قول المؤرخ ميرسيي ، الذي ذكر {أن الرومان ومنذ زمن طويل ، كانوا ينظرون إلى مدينة قسنطينة كما ينظرون إلى قرطاج بعين الترصد والطمع ، والرغبة بالاستيلاء عليها، لموقعها الاستراتيجي والجغرافي ، وحصانتها ، والمكانة التي تملكها، وتتمتع بها في الميدان الاقتصادي ، فقاموا باحتلالها سنة 112م }[2].

ومنذ هذا التاريخ دخلت قسنطينة تحت الحكم الروماني ، إلى جانب القل ، وميلة ، وسكيكدة ، وعرفت في المرحلة الاولى من الحكم الروماني نوعا من الاضطرابات الداخلية والثورات ، بعدما رفض اهلها الخضوع الى هذا الحكم ، وكانت هذه الثورات بزعامة يوغرطة* ، واشتدت المقاومة بين الحكام والأهالي إلى أن دمرت المدينة سنة 308م[3]، ويرى ابن العطار انها خربت عام 311م ، بعد أن دخلت تحت حكم رومة على يد القائد ماكساس[4].

وبقيت المدينة على حالها ، إلى أن سيطر عليها الملك قسطنطين عام 313م ، وجدد بناءها[5] ، و سميت باسمه وقد نظم أحوالها وشيد عمرانها ، وكثر فيها السكان [6].

ولقد ترك الرومان في هذه المدينة أثارا تاريخية لازالت إلى يومنا هذا تشهد على عراقة هذه الحضارة ، وهذا ما نجده في كتابات المؤرخين الذين ينشدون بهذه الاثار عند وصفهم هذه المدينة ، ونذكر منهم مارمول كربخال ، الذي يصفها قائلا <<... وفي ظاهر المدينة توجد أ ثار قديمة ، وقوس نصر على بعد نصف فرسخ تشبه بأقواس النصر التي توجد في روما على مقربة من وسط المدينة "الكابيتول" ...وشيدت تخليدا لأحد الانتصارات الرومانية

– محمد قويسم ، مدينة قسنطينة مابين القرنين (07-10هـ/13-16م) دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2، 2015م ، ص 53.

2– mercier، histoir de constantine , Constantine –Marle et biron , 1903 , p42

3 - يمينة سعودي ، المرجع السابق ، ص 19

4 – ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 78.

5 - نفسه ، ص78.

6 – الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص55.

...ويوجد في هذه الجهات عدد آخر من المعالم القديمة الدالة على أنها كانت مستعمرة رومانية ...>>[1] .

إلى جانب ذلك نجد العديد من المسارح التي لا يمكن تحديد عددها ، بالإضافة الى الحمامات ،ومن أهمها نذكر ، حمام أريوس باكاتوس ، وأنشأوا الجسور، وجلبوا لها المياه[2].

وبعد وفاة قسطنطين عام 337م ، دخلت قسنطينة مرحل التقهقر ، واشتد الصراع بين الرومان وسكان المدينة من جديد ، وطالبوا حاكمها "بونيفاص " بالاستقلال عن روما ، واستنجدوا بالوندال أعداء الرومان [3]، فلبوا ندائهم واستقروا بها لمدة ما بين 432-534م.

إلا أنه في سنة 542م ، استرجع الرومان البيزنطيون قسنطينة ، وثار عليهم البربر الذين سكنوها حقبة لفترة من الزمن[4]، فقاموا بثورات عديدة ضدهم ، والتي استمرت الى غاية الفتح الإسلامي لإفريقية[5].

1- 2 . قسنطينة تحت الحكم الإسلامي :

بعد تصدع الرومان في شمال إفريقيا ، وتقلص نفوذهم ونفاذ قوتهم ، توالت موجات الفتح الاسلامي على المغرب الإسلامي في القرن السابع ميلادي ، فاستقلوا في إفريقيا بداية من مدينة قرطاج ، وفي السنة نفسها دخلت قسنطينة تحت الحكم الإسلامي على يد فاتحها عقبة بن نافع[6]، وهناك من يرجح أنها فتحت على يد أبي المهاجر دينار* عام (55 - 62هـ/674-681م)[7].

تعرضت قسنطينة بعد الفتح الإسلامي لإفريقيا، وعمالتها، إلى التخريب من طرف الكاهنة دامية بنت ينفاق ، والتي تصدت للزحف الإسلامي ، وهي من قبيلة جراوة البربرية

---

1 – كربخال ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص13.

2 – دحدوح ،المرجع السابق ، ص 68.

3 – يمينة سعودي ، نفسه ، ص 18.

4 – نفسه ، ص 18.

5 –محمد بن عبدالقادر ، المصدر السابق ، ص30.

6 – روبار برنشفيك ، المصدر السابق ، ص33.

*هو مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري تولى افريقية بعد عزل عقبة بن نافع في سنة 55هـ/674م، ينظر: عبدالقادر دحدوح ، نفسه ، ص 70.

7 – دحدوح ، نفسه ، ص 70.

بالأوراس ، و كانت أعلم أهل زمانها بالكهانة[1] ، لكنها قتلت في الأخير على يد أحد قادة الفتح ، وطلبت من أبنائها دخول الإسلام[2].

وبذلك دخل سكان قسنطينة تحت الحكم الإسلامي ترغيبا لا ترهيبا ، وأعلنوا إسلامهم وولائهم للفاتحين العرب ، وأصبحت قسنطينة تابعة للحكم الإسلامي بالقيروان في عهد الولاة الأمويين[3]، الى غاية قيام الدولة الأغلبية (134-800هـ/296-909م) ، والتي مدت نفوذها إلى مختلف المدن المغاربية ، نذكر منها : قسنطينة ، طرابلس ونواحيها ، فسطيلة ، تونس وما حولها ، بلاد الزاب ، بلاد السوس والمغرب الأقصى ، والجزائر[4] .

وعرفت قسنطينة في ظل حكم الدولة الأغلبية، نقلة اقتصادية ونهضة علمية و ثقافية ومعمارية ، إلى غاية سقوطها عام 296هـ/912م[5] .

وبعد سقوط الدولة الأغلبية ، خضعت قسنطينة للحكم الفاطمي (296-362هـ) ، التي قامت بدعوة التحرير من سطوة الأغالبة[6]، وقضت عليها ، ومن قبلها الدولة الرستمية، الرستمية، وكان الفاطميون يولون عليها واليا لتسيير شؤونها[7] .

وبعد انتقال الحكم الفاطمي إلى القاهرة ، ولوا علي المغرب القائد الصنهاجي بلكين بن زيري، وأصبحت مدينة قسنطينة تابعة لحكم بني زيري من سنة 362 إلى غاية 542هـ ، وشهدت مرحلة من الاستقرار ، واكتسبت مكانة إقليمية مهمة [8].

وفي هذه الفترة تعرضت قسنطينة لهجوم الهلاليين حوالي 462هـ ، فاستقلت عن حكم الفاطميين ، لتدخل ضمن الحكم الحمادي(547هـ)[9] ، إلى جانب بسكرة ، المسيلة ،

---

1 - مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص 34 .

2 - عبدالله شريط ، محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص55.

3- عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ، ط 2 ، دار مكتبة الحياة ، الجزائر ،ج1 ، 1965م ، ص179.

4 -نفسه ، ص 296.

5 - يمينة سعودي، المرجع السابق ، ص 23.

6 - الجيلالي ، نفسه ، ص 187.

7 - دحدوح ، المرجع السابق ، ص 72

8 -الميلي ، شريط ، نفسه ، ص68.

9 -روبار برنشفيك ، المصدر السابق ، ص 32.

سطيف ، بجاية، مليانة ، المدية ، ومدينة الجزائر ، وازدهرت الحياة العمرانية على عهد الحماديين في مختلف المدن الجزائرية[1].

وبعد قيام الدولة الموحدية في المغرب الإسلامي(425-668هـ/1130-1269م) على يد مؤسسها عبد المؤمن ، والتي وحدت جل أجزاءه المشتتة لأول مرة، وقد استولى على بجاية في البداية في سنة 547هـ ، ثم قسنطينة في 547هـ[2].

وبعد وفاته ، آلت الدولة إلى الضعف ، خاصة بعد ظهور علي ابن غانية المرابطي الذي كان واليا على جزر البليار ، الذي قام بعدة ثورات على أمراء لملوك الموحدين ، فتمكن من الاستيلاء على بجاية عام1174م -580هـ منتهزا ضعف الدولة ، وتصدى له أبي عمر بن حفص الذي كان واليا على تونس بعد وفاة عبد المؤمن ، وقام ابن غانية بحصار قسنطينة بتأييد من القبائل العربية ، وبذلك استطاع تفكيك وحدة المغرب الإسلامي ، ليتجزأ في الأخير إلى ثلاث دويلات متنافسة على خلافة بيت عبد المومن[3] ، وقد دام حكم الموحدين لمدة حوالي 150سنة [4]،

وفي عهده (أبي حفص) شهدت مدينة قسنطينة ، حركة تجارية واسعة، بحيث ازدهرت الصناعة ، واستصلحوا نظام العملة ، وقد اتسع نظام المبادلات التجارية بين البلاد المغاربية ككل ، والدول الأوروبية عامة [5].

وكان أبي عمر حفص ، القائد الذي مهد لقيام الدولة الحفصية في تونس خلافا للدولة الموحدية ، وقد بسطت نفوذها على معظم الأقاليم التي كانت تحت سلطة الموحدين أهمها: اقليم قسنطينة ، وبجاية ، وسنتناول هذا الجزء بالتفصيل في الفصل الثاني .

---

[1]- الميلي ، شريط ، المرجع السابق ، ص69.

[2]- روبار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 32.

[3]- الميلي ، شريط ، نفسه ، 79.

[4] - محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ص92.

[5] - الميلي ، شريط ، نفسه ، ص 89.

2 . التركيبة السكانية لمدينة قسنطينة والقوى المحلية.

2 – 1 – التركيبة السكانية :

عرفت مدينة قسنطينة تركيبة سكانية متنوعة، منذ أن كانت عاصمة لأهم الحضارات التاريخية العريقة ، نتيجة للوفود البشرية التي احتضنتها ، والتي تسابقت على استيطانها ، نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي يتوفر على اغلب شروط الحياة ، ومكانتها الاقتصادية ، والتي جعلتها الوجهة الأولى للتمركز البشري في الجزائر، وبذلك استوطنتها أعراق بشرية مختلفة الأصول ، والعادات ، والتقاليد ، بحيث تمكنت رغم اختلافها من بسط نفوذها وتحديد هويتها وإقامة عشائر وقبائل متنوعة ، لكل واحدة نظامها ووحدتها .

ومن هنا سنتعرف على النواة السكانية الأولى التي احتضنتها قسنطينة ، وكيفية انتشارها ، وأهم فروعها :

أ/ بداية الاستيطان:

كان سكان قسنطينة الأولون ضمن سكان البربر الراحل ، وهم الذين يسكنون البوادي والجبال ، ويسمون البربر البتر ، وهم الذين أطلق عليهم الرومان اسم النوميدين ، أي سكان نوميديا [1] ، وظهرت من هذا الصنف قبائل وفروع ، مثل : قبائل كتامة ، الذين كان استقرارهم بالشرق الجزائري بشكل كبير[2] ، و تفرعت منها قبائل أخرى أهمها :

– قبيلة سدويكش التي استوطنت بين قسنطينة وبجاية ، إلى غاية القرن الرابع عشر ميلادي[3].

– قبيلة بنو ثابت ، وهم من بقايا كتامة ، سكنوا جبل القل المطل على قسنطينة ، وكانوا تابعين للموحدين[4].

---

1 – عبد الرحمن جيلالي ، المرجع السابق ، ص 296.

2 – دحدوح ، المرجع السابق ، ص 71.

3 – عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) ،ج 6 ، مر: سهيل زكار ، 1431هـ/200م ، ص197.

4 – نفسه ، ص 199.

– العمامرة ، وهي من القبائل الأوراسية التي سيطر عليها الذواودة الهلاليون ، فأصبحت من أتباعهم[1].

– أولاد رشايش ، وهم من النمامشة وينسبون انفسهم إلى أحد قبائل العرب الهلاليون ، واندمجوا بالبربر ، واكتسبوا لغتهم وتقاليدهم [2].

ب /القبائل الهلالية بالشرق الجزائري :

بعد الفتح الإسلامي لإفريقية ، شهدت قسنطينة على العهد الفاطمي ، توافدا سكانيا جديدا ، في ظلال النزوح الهلالي لإفريقية[3] ، حيث دخلتها القبائل العربية وهم : الهلاليون ، وبني سليم، الذين انتقلوا من الحجاز الى الصعيد بمصر، ثم المغرب الإسلامي ، فسكنوا القالة ، وعنابة ، وقسنطينة إلى القل ، إلى جبال البابور ، وجهة الهضاب ما بين الأطلسين التلي والصحراوي[4] .

وقد أثر هذا النزوح للقبائل العربية على الوضعية السكانية في قسنطينة ، حيث دخلت معظم القبائل البربرية تحت سلطتها وسطوتها ، وامتد نفوذها على حسابها ، واحتكت بأمراء المغرب، فكونت علاقة وطيدة بالحكومة المركزية ، وامتلكوا اراضي واسعة ، حيث سيطر بنو هلال على المغرب الأوسط ، وبني سليم على المغرب الأدنى [5].

وكان لبني هلال فروع أخرى ، توزعت بشكل كبير في إقليم قسنطينة ، ونذكر أهمها:

– **فرع رياح** : وهم أكثرهم عددا[6]،وهذه الأخيرة انحدرت منها قبيلة الذواودة، والتي تفرعت منها إحدى أهم الأسر الحاكمة ببايلك الشرق ، وهي أسرة بوعكاز الذواودة ، وقد اشتهروا بعدائهم للحفصيين[7].

1– جميلة معاشي ، الاسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10هـ–16م/13هـ–19م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، جامعة قسنطينة 2، 2015، ص 101.

2– المبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 180.

3 – عبدالله شريط ، محمد الميلي، المرجع السابق ، ص 67.

4 –معاشي ، الأسر المحلية ...، المرجع السابق ، ص282.

5 – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص43.

6 – نفسه ، ص 44.

7 – عبد الرزاق قشوان ، المرجع السابق، ص 34.

– **فرع الأثبج** : كانت لهم مكانة عند الحفصيين ، ومن فروعهم نجد : كرفة ، عياض ، الضحاك ، أسرة المقراني الحاكمة بغرب البايلك ، بنو مزني ، وأسرة أحرار الحنانشة[1].

وما يثبت سيطرت القبائل العربة على إقليم قسنطينة هم ما ذكره كربخال عند وصف حصانتها ، قائلا{ في مدينة قسنطينة حصن في شمالي المدينة حصين عظيم ، يغلب على الظن أنه من بناء الرومان، جدد ترميمه وتحصينه مرتد من خدام تونس ، وكان يحكم انطلاقا منه سكان المدينة والعرب ، الذين هم سادة الجهات المجاورة لقسنطينة ، وهم أشهر من ببلاد إفريقية ، من العرب وأشجعهم...}[2].

2 – 2 . ظهور القوى المحلية ببايلك الشرق : كان للتوزع والتوسع الذي عرفته هذه القبائل الأثر الكبير في اضطراب النظام الداخلي، والتطاول على الدولة الحفصية ، ما أدى إلى ضعفها ، وتحديد سلطتها في هذا الإقليم .

لكن سرعان ما ظهر الصراع بين هذه القبائل الإقطاعية الذواودة وبني هلال وبني سليم ،نتيجة لذلك ظهرت أسر متعددة ، امتد نفوذها على حساب نفوذ القبيلة ، وتحولت من نظام الجماعة إلى السلطة الفردية تخضع لشيخ الأسرة، وبهذا دخلت قسنطينة تحت حكم عدد من الأسر التي توارث أبناؤها الحكم ، وبذلك تشكلت القوى المحلية في قسنطينة، على يد الأسر المحلية في غياب سلطة مركزية[3].

كانت قبائل إقليم قسنطينة قبل الوجود العثماني ، مقسمة إلى قسمين :

القوى العسكرية المعروفين بالأجواد أو نبلاء السيف الذين فرضوا سلطتهم بالقوة ، والقوى القبلية (المشيخات الوراثية) ذات الصبغة المرابطية، صاحبة النفوذ الديني، وهم النبلاء ذوي المكانة والاحترام وتبجيل من الأتراك والسكان[4].

وفي العهد العثماني ، اتفق معظم الباحثين أن بايلك الشرق الجزائري تركز بيد خمس أسر محلية حاكمة خلال العهد العثماني (القرن 10–13هـ/16–19م) وهي كالتالي :

---

1 –معاشي ، نفسه ، ص155.

2– كربخال ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 11.

3 – معاشي ، المرجع السابق ، ص

4–شدري معمر رشيدة ، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية (1518–1830م) أطروحة دكتوراه ، تاريخ حديث ، جامعة الجزائر 02 ، 2017–2018م ، ص 153.

– أسرة بوعكاز *قبيلة هلالية من فرع رياح من قبيلة الذواودة حكام الصحراء ، هي من الأجواد أو نبلاء السيف[1] ، بحيث تعتبر من أهم القوى المحلية ، ذات الطابع القبلي في قسنطينة منذ العهد الحفصي إلى العهد العثماني ، سيطرت على المغرب الأوسط قبل مجيء العثمانيين ، كانت لها علاقة وطيدة مع العثمانيين ، فمنحوها لقب شيخ العرب[2] ، عند تولية علي بوعكازالذواودي عام 947هـ–1541م[3] ، تجديدا للقب "أمير العرب" الذي نالته الأسرة على العهد الحفصي، قبل أن تنافسها فيه أسرة ابن ڤانة[4] .

– أسرة أحرار الحنانشة ،وهي أسرة بدوية ، يرجع أصلها إلى قبيلة هوارة ، حملت الأسرة اسم حناش بن بعرة ، تقاسمت مع أسرة بوعكاز البايلك[5]، حيث كانت تحكم الحدود الشرقية منه [6].

– أسرة المقراني حكام مجانة بالحدود الغربية للبايلك ، وهي من الأسر العلمية الدينية المرابطية[7].

– أسرة بني جلاب ، وتمثل أرياف جنوب البايلك[8].

– أسرة بن ڤانة ، اختلف المؤرخين في نسب الأسرة فأفرادها يرجعون أصلهم إلى علي ابن أبي طالب ، وهناك من يرجع نسبهم إلى امرأة تدعى ڤانة من إحدى قرى جرجرة ، تصاهرت مع عائلة بوعكاز ، فرفعت هذه المصاهرة أسرة بن ڤانة ، إلى مصاف الأسر النافذة ببايلك

---

[1] – شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 158.

[2] - معاشي ، المرجع السابق ، ص168

3– شدري معمر، نفسه ، ص 159.

4 – قشوان ، المرجع السابق ، ص69.

5 – شدري معمر ، نفسه ، ص200.

6 –معاشي ، نفسه ، 170.

7– فوزية لزغم ، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925–1246هـ/1520–1830م) ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الانسانية والحضارية والاسلامية ، جامعة وهران ، 2014م ، ص 22.

8 – قشوان ، نفسه، ص71.

الشرق الجزائري[1] ، حيث ظهرت على الساحة السياسية في منتصف القرن 12هـ/18م ، ولعبت دورا هاما في الحياة السياسية ببايلك قسنطينة بعدما منحها أحمد القلي لقب شيخ العرب[2] ، بهدف خلق التوازن والحد من نفوذ أسرة بوعكاز زعماء الذواودة التي كانت تشكل تشكل خطرا على السلطة ، فخلقت لها منافسا في المنطقة ودعمته بكل قوة ، واستمر التنافس بين الأسرتين إلى غاية الاحتلال الفرنسي[3].

وكان لبروز هذه الأسر القوية في قسنطينة ، وتأسيسها مشيخات قبلية وإدارة محلية ، وظهور الأسر المرابطية التي حلت محل السلطة المركزية أنذاك ، في ظل الفراغ السياسي ، كل هذه العوامل جعلت قسنطينة تدخل تحت الحكم القبلي المحلي بعيدا عن أي سلطة سياسية ، ما صعب على العثمانين فتحهابعد التصدي والرفض الذي لحقها من طرف بعض العائلات الدينية(أسرة ابن عبد المومن) ذات السلطة والمكانة ، وهذا ما سنتطرق إليه بشكل مفصل ، في الفصل الثالث من البحث .

1 – شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 164.

3– Mercier ،histoir de constantine...,ibid , p288.

3 – شدري معمر ، نفسه ، ص 168.

الفصل الثاني: قسنطينة ما بين العهدين الحفصي والعثماني

أولا : قسنطينة في العهد الحفصي

1 – الأوضاع الداخلية لقسنطينة.

2 – الصراعات الخارجية .

3 – قسنطينة أواخر العهد الحفصي .

ثانيا : الدخول العثماني إلى قسنطينة .

1 – الأوضاع السياسية .

2 – الأوضاع الاقتصادية .

3 – الأوضاع الاجتماعية .

أولا : قسنطينة خلال العهد الحفصي .

1 – الأوضاع الداخلية لقسنطينة في العهد الحفصي :

نتج عن سقوط الدولة الموحدية ، قيام ثلاث دويلات بالمغرب الإسلامي، فتكونت دولة بني زيان (دولة بني عبد الواد)* في تلمسان في المغرب الأوسط ، أما في المغرب الأقصى ظهر بنو مرين* التي شقت عصا الطاعة عن الموحدين وخاضت معها معارك لسنوات، أما في المغرب الأقصى انبعثت الدولة الحفصية* لتحتل مركز الصدارة بعد انهيار دولة بني عبد المومن لأسباب دينية أكثر ماهي سياسية أو عسكرية [1].

وبهذا اعتبر الأمير الحفصي أبو زكريا (الذي كان خادما لآل البيت سابقا) نفسه وارثا للخلافة الموحدية، ليرث بني حفص ماتبقى من الدعوة والدولة،[2] واستقل بملك تونس*سنة (625 هـ 1228 م)، ومن ثم استقل أبو زكريا يحي الأول الحفصي بقسنطينة سنة (1229م 626 هـ) وبهذا التاريخ دخلت قسنطينة مباشرة تحت الحكم الحفصي، لتصبح تابعة لإحدى

*كان بني عبد الواد من حلفاء الموحدين والمخلصين لهم ، فرضوا سلطتهم على تلمسان بقيادة يغمراسن ،الذي أعلن استقلاله بها سنة (633–962هـ/1235–1564م)، وهي تقع بين شقي المملكة الحفصية شرقا والمرينية غربا، ينظر: عبدالله شريط ، محمد الميلي ، المرجع السابق، ص101.

*ينتمي بني مرين إلى قبيلة زناتة ، ظهروا في جنوب المغرب الأقصى بقيادة أبي محمد عبدالحق بن محيو ، الذي هزم جيش الموحدين عام (613هـ/1216م)، ولم تتشكل فعليا إلا في عهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق المعروف بالمنصور، ينظر : سلمي عمر السيد عمر، بنوا وطاس في المغرب (1465–1503م)، قسم التاريخ، جامعة الخرطوم، ص4.

*أصل بني حفص من هنتانة ، وهي من أعظم القبائل، وأكثر قبائل البربر، ودولتهم شعبة من دولة الموحدين ، ويرفعون نسبهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ينظر : أبي عبدالله الشيخ الباجي المسعودي، الخلاصة النقية لأمراء إفريقية ، ط 2، مطبعة بيكار، تونس، 1323هـ، ص57.

1 – عبدالله العروي، تاريخ مجمل المغرب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،2000، ج 2، ص195.

2 –أبي عبدالله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط 2، مطبعة الدولة التونسية، المحمدية، 1276هـ، ص96.

*وهي مدينة إسلامية ، تأسست عام ثمانين للهجرة (80هـ)، وهي قاعدة البلاد الافريقية وأم بلادها، وحضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين، ومهاجر أهل الأقطار من الأندلس والمغرب، ينظر: الورثيلاني، المصدر السابق، ص669.

المقاطعات الحفصية بعد مبايعة سكان بجاية له، وهو ما ذكره ابن خلدون في" قوله <<...ودخل بجاية من ثم قسنطينة، ويقال أن ملكه ببجاية كان سابقا على ملكه بقسنطينة>>[1]، ووزع نفوذه فاستولى على الجزائر وبايعته تلمسان[2].

وأصبحت قسنطينة القاعدة الثانية للحفصيين بعد تونس وعاصمة الاقليم الغربي، والعمق الاستراتيجي للسلطة المركزية، وهو مازادها حظوة عند سلاطين وأمراء بني حفص، فأقام الكثير منهم بها، بحكم ولادتهم بها[3]، مما جعلها تتمتع بمكانة ممتازة، وذكرها ابن الوزان" بقوله << أن قسنطينة كانت من الأقاليم الأربعة الخاضعة لمملكة تونس إلى جانب بجاية وطرابلس الغرب و الزاب ، وكان من عادات ملوك تونس أن يعطوا قسنطينة الى ابنهم الأكبر...>>[4].

فولى أبو زكريا يحي عهده إبن النعمان وزيرا على قسنطينة، وشهد عهده (أبو زكريا) عدة فتوحات حيث فتح بجاية ثم مد نفوذه إلى الجزائر بني مزغنة[5]، وانتظمت البلاد الشرقية في طاعته (بلنسية، ومرسية وأهل شرق الأندلس)، واستولى على تلمسان وبايعه أهلها، ودخل في دعوته قبائل زناتة في المغرب الأوسط[6]، كما بايعه بنو مرين (أهل مكناسة)

---

1 - عبد الرحمن ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص449.

2 - شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب)، ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، 1977م، ص 26 .

3 - علال بن عمر، قسنطينة في العهد الحفصي ؛محور صراع وتنافس بين دول المغرب الاسلامي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، جامعة حمة لخضر، الوادي، ص36.

4 –الوزان، المصدر السابق، ص 56.

*قبيلة بربرية عريقة في القديم ، منتشرة في كامل الشمال الافريقي، تقطن خاصة المغرب الأوسط ،الجزائر، ومن فروعها : مغراوة ، وجراوة ، وبني يفرن ، ينظر: عبدالرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص224.

5–العروي، المرجع السابق ، ص 195 .

6 – ابن خلدون، المصدر السابق، ص 420.

وتوفي الأمير أبي زكريا يحي عام 647هـ، وقد دام حكمه حوالي عشرين سنة[1]، وبعدما شهدت الدولة في عهده نوعا من الاستقرار، واضطربت أحوالها بعد وفاته بسبب التنافس بين أهل البيت[2].

وتولى حكم قسنطينة بعده كل من إبن النعمان وابن كلداس، وبعده عين أبا بكر بن موسى[3]، وبعد وفاة (أبي زكريا)(647هـ/1249م)، بايع الحفصيين ابنه أبو عبدالله محمد الملقب بالمستنصر وهو في سن العشرين (647هـ-675هـ/1239م-1277م)[4]، وشهد عهده عدة ثورات في قسنطينة التي قادها أميرها أبو بكر ابن الوزير (687هـ-679هـ/1279م-1280م)، بعدما استبد بالحكم بالأندلس، واستنجد بالنصارى، كما خرجت عدة قبائل عن الدعوة الحفصية مثل (ابن الأحمر بالأندلس)، إلا أن أمير تلمسان (يغمراسن*) حافظ على ولاءه للحفصيين[5]، أما أصحاب سبتة(بني مرين) فقاموا بطرد القادة الحفصيين منها، وخلعوا حكمهم وحولوا الدعوة لأحد كبارهم عام (647هـ /1239م)، كما خرج عمه أبي إسحاق عن طاعته بعدما بايعه أهل بسكرة، وفر بعدها الى الأندلس ،وعرف المستنصر بالله بعظمته وشهرته، وازدادت الدولة في عهده قوة ومهابة والرعية رفاهية وهناء[6].

1-ابن خلدون، المصدر السابق، ص 53 .

2- علال بن عمر، المرجع السابق ، ص 59.

3 -العروي، المرجع السابق ، ص 195.

4- حسن حسيني عبدالوهاب، خلاصة تاريخ تونس من أقدم العصور الى الزمان الحاضر، ط3، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس ، ص 108 .

*هو مؤسس المملكة الزيانية ، وكلمة يغمراسن معناها المتفوق حكم مدة طويلة استغرقت ما بين سنة (1235-1283م) ، ينظر: محمد الميلي، عبدالله شريط، المرجع السابق، ص 102.

5- أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم (الزركشي)،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق : محمد ماضوي، ص 29.

6 -علال بن عمر، نفسه، ص 60.

وبعد وفاة المستنصر عام (675 هـ /1276م)، بويع ابنه أبو يحي زكريا الملقب بالواثق[1]، كان مساندا للمظلومين، وتقرب من أهل العلم، وأصلح المساجد، ونال مكانة عند الشعراء فامتدحوه ، وفي عهده ولى العزيز بن عيسى على قسنطينة الذي صد عنها عم المستنصر أبي إسحاق ، لكن هذا الأخير تغلب على الواثق وخلعه البيعة وقتله عام (679 هـ-1280م)، وحمل لواء الحفصيين[2].

وشهد عهده عودة فتنة كان سببها ابن الوزير الذي ولاه أبي اسحاق على قسنطينة[3]، فكان ابن الوزير طموحا مغتصبا لأموال الناس تظلما ، لكن أبو فارس ابن ابي اسحاق تمكن منه وقتله[4]،وعادت قسنطينة للحكم الحفصي ،وولى الامير الحفصي ابي اسحاق ابنه ابو فارس المعتمد على الله عام (681هـ/1283م) على ملك بجاية[5].

ولما بويع لأبي حفص ابن أبي زكريا ملكا على قسنطينة وبجاية(683هـ/1284م)[6]، استقل بحكم الجهة الغربية من مملكة الحفصيين، وانقسمت الدولة على إثر ذلك الى قسمين، الأول عاصمته تونس، والثاني عاصمته بجاية، وقد كان ملكا صالحا، حكيما متسامحا، وقد نظم أمور الدولة، وتقرب من أهل قسنطينة وعلمائها، وشهد عهده نشاطا في الحياة الثقافية، والتنافس بين العلماء[7]، وبعد وفاته تولى بعده ابنه أبي البقاء خالد ملك قسنطينة عام

---

[1] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص55.

[2] - ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 131.

[3] – ابن خلدون ، نفسه ، ص55 3

[4] – نفسه ، ص58 .

[5] – دحدوح ، المرجع السابق ، ص 80 .

[6] – الزركشي ، المصدر السابق ، ص80.

[7] – ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص152.

(700هـ/1300م)[1]، واستقر هذا الاخير ببجاية وعين وزيره أبا القاسم بن أبي يحي على قسنطينة، الذي قام بنبذ طاعته وصار معارضا له وأعلن استقلاله بعدما دعمه بعض من أهل قسنطينة[2].

وبعدما وصل الخبر لأبي البقاء جهز جيوشه وحاصره، لكن أبا القاسم تمكن من الفرار، وعين مكانه أبا الحسن علي بن يوسف بن الأمير الهمذاني، إلا أن هذا الأخير انحاز عنه عام (1304م-1305م) الى سلطان تونس، فقتله الامير أبي البقاء، وتمكن من الدخول الى تونس بعد وفاة سلطانها، وتلقب بالناصر لدين الله، وعهد بقسنطينة الى اخيه أبي بكر يحي الذي انفصل عنه فيما بعد بعدما بايعه أهل قسنطينة عام (711هـ/1311م)[3].

فسيطر على بجاية واستقل بحكم الجهة الغربية من الدولة الحفصية ، بعد وفاة اخيه أبي البقاء، وعين حسن ابراهيم بن ثابت على قسنطينة ، ثم ولى ظافر المعروف بالكبير، وبعدما تمكن أبي بكر من تونس عام (718هـ/1318م) وصار سلطان الدولة الحفصية ،وتمكن من توحيدها بشقيها الشرقي والغربي[4]،عين على قسنطينة ابن الغمر[5]، وكان أبو بكر محبا لأهل قسنطينة، لكونها مسقط رأسه ومركز ملكه، وكان محبسا لجوامعها[6].

1 - ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 79.

2 – بن عمر ، نفسه ، ص 59.

3– ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 133.

4– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 404 .

5 – ابن المبارك بن العطار ، نفسه ، ص80.

6 – دحدوح ، المرجع السابق ، ص 82.

وبعد وفاته خلفه أبو عبدالرحمن الحاجب (719هـ/1319م)، وبعده عين ابا عبدالله (720هـ/1320م) ودام حكمه إلى أن توفي عام (739هـ/1339م)، وقد عرفت قسنطينة خلال عهده الولاء التام لحكم السلطان الحفصي ، حتى كانت ملجأ السلطان الحفصي نفسه من الفتن والاضطرابات التي كانت تحدث في مدينة تونس ، وساهم أبي عبدالله محمد إلى جانب أبيه في محاربة أعداء السلطنة الحفصية[1].

وبعد وفاته تولى الأمير أبي محمد الحسن ، وهو خاتمة بني حفص ، وبانقراضه انقرضت الدولة الحفصية ، وقد عرف في البداية بحسن سيرته ، ثم ساءت سمعته بين الناس و اضطربت أحوال البلاد ، وانقسمت إلى قسمين ، بعدما تعاون أبي الحسن مع النصارى ودخلوا البلاد ، وشاركوا أهلها في مساكنهم و معمالاتهم[2].

1- علال بن عمر ، المرجع السابق، ص59.

4- ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 153.

2 – الصراعات الخارجية :

بعد أن دب الضعف إلى مملكة بني عبد المؤمن، وتجزأ المغرب الإسلامي، هذه الأخيرة انقسمت بدورها إلى ثلاث إمارات[1] : الحفصية و التي وجدت بها ثلاث إمارات قسنطينة وبجاية وطرابلس ، بنو عبد الواد الى إمارتي، تلمسان ووهران ، أما حكم بني مرين فقد توزع على فاس وندرومة وهنين ووهران ، مستغانم ، ومزغران وتنس ومليانة والبطحاء ومازونة ، وتامزدقت وتفريقنت وسبتة[2]، وقد سعت كل واحدة من هذه الدويلات أن تحقق نفس الوحدة التي كانت موجودة في عهد الموحدين، لكنها فشلت بعدما تحالفت القبائل البربرية وبعض الفرق الهلالية ضدها، بالإضافة إلى الثورات التي ظهرت بعد انهيار مملكة الموحدين، مما أعجزها عن فرض احترام السلطة المركزية[3].

وكانت هذه الدويلات الثلاث في البداية تجمعها علاقات وطيدة، فمثلا كانت تتسم العلاقات الحفصية المرينية بالصداقة والتعاون ، فكانت أول من بايعها بالطاعة والولاء، وهذا ما أشار إليه الناصري "قائلا<<...ثم سار الأمير ابو بكر المريني* بمحلته فنزل جبل زرهون ، ودعا أهل مكناسة إلى بيعة الأمير أبي زكريا ابن أبي حفص صاحب افريقية ، لأنه كان يومئذ على دعوته في ولايته ...وبعثوا بيعتهم الى أبي زكريا الحفصي >>[4]،

1سلمي عمر ، المرجع السابق ، ص4.

2 –العروي ، المرجع السابق ، ص 205

3 –سلمي عمر ، نفسه ، ص 5 .

*هو الذي رفع راية بني مرين، وسعى بها الى مرتبة الملك ، وكنيته ابو يحي ، وهو اول من جند الجنود منهم ، وضرب الطبول ، بايعه بني مرين بعد وفاة اخيه ابي معرف : ينظر: ابو العباس احمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى (الدولة المرنية)، ج3، تح : جعفر الناصري ،محمد الناصري ، دار الكتاب ، 1954 ، ص11 .

4 – الناصري ، نفسه ، ص13 .

وظلت العلاقة بينهما ذات طابع سلمي في عهد المستنصر، وكذا ابنه أبو زكريا يحي الملقب بالواثق، وذلك رغم توقيف الدعاء لبني حفص على منابر المغرب باسم الأمير ابي زكريا[1].

ثم نكث بني مرين الدعوة بعد استيلائهم على مراكش[2]، لكن هذه العلاقة لم تدم طويلا الى أن تحولت الى صراع، بعدها لم تكتف هذه الدويلات الثلاث بحدودها السياسية، بل راحت تدخل في صراعات عسكرية فيما بينها للسيطرة الأحادية على المنطقة كلها، واشتد التنافس بينهم طمعا في الحلول محل الدولة الموحدية[3]، وكانت بداية الصراع قد ظهرت بين الدولة الحفصية والزيانية بعد الحملة التي قام بها الحفصيون على تلمسان بقيادة سلطانهم أبي زكريا الذي شن حملات عدائية على الزيانيين في عهد يغمراسن سنة (639-640هـ/1241-1242م)، وفتح بها تلمسان بعد حصار طويل[4].

وبعدها عرفت الدولة الحفصية فوضى داخلية ، نتيجة الصراع بين أمراء الامارات الحفصية (تونس وطرابلس وبجاية)[5]، فانقسمت الدولة الى مملكتين مستقلتين كما أشرنا إلى ذلك سابقا ، وشهدت معاركا بين شطريها لمدة 23 سنة ، حتى تمت الوحدة بينهما على عهد خالد ابي البقاء عام (708هـ-1309م)[6]، وفي ذلك الوقت كان بنو زيان يتطلعون

- -عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم (عهد بني مرين) ، مج7 ، مكتبة الاسكندرية ، 1988 ، ص24.

2-ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 108 .

-بلحاج محمد ، مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ، ج1، مذكرة ماجيتسير ، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران ، 2007 ، ص4 .

4 – ابن خلدون ،نفسه ، ص 391.

5-العروي ، المرجع السابق ، ص 204 .

6-عبدالله شريط ، محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 92 .

إلى التوسع على حساب المملكة الحفصية واستعدوا للاستيلاء على بجاية وقسنطينة ، وعلى هذا تحالف الحفصيين مع بني مرين ضد الزيانيين عن طريق المصاهرة[1].

واستمرت الحملات الحفصية على بني عبد الواد إلى غاية القرن (8هـ-14م) ،ففي عهد أبي بكر الحفصي ثار عليه ابن أبي عمران مستعينا بالزيانيين ، فاحتل تونس سنة(730هـ/1330م)ثم استردها منه[2] ،وكذلك شن حملة سنة (732هـ/1331م)، التي كان فيها الصراع يدور حول مدينة بجاية ، حيث وجدت السلطة الحفصية الدعم الكامل من السلطان المريني أبي الحسن بن عثمان ، فنزلوا فيها قتلا وتخريبا[3].

وفي عهد أبي يحي أبي بكر الحفصي (718-748هـ/1318-1346م)، بعدما اخذ البيعة من مدينة تونس وانتقل من قسنطينة اليها ، استغل بنو عبد الواد غيابه عن المدينة ، فقاموا بحصارها ، ولما وصل الخبر الى السلطان أبي يحي رجع لفك الحصار عنها، وازال خطر بني عبد الواد[4].

أما في عهد ابنه أبو عبد الله ، قام أبو حموا الزياني بسط نفوذه على بجاية مستغلا فرصة الخلاف بين ابي عبدالله وعمه ابو العباس[5]، وفي سنة 1365م وقع انقلاب آخر في قسنطينة من طرف ابن قالون*، وفي نفس السنة هاجمها بنو عبد الواد لكن بدون جدوى[6].

---

1 –العروي ، المصدر السابق ، ص204.

2 – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 108.

3–بلحاج محمد ، المرجع السابق ، ص 5

4– علال بن عمر ، المرجع السابق ، ص 61 .

5– ابن خلدون ، نفسه ،ص 551.

*هو أبو عبدالله بن يحي بن قالون ، كان حاجب لدى الامير أبي زكريا في بجاية عام 720هـ ، لكنه خرج عن طاعة الحفصيين وساند بن أبي عمران ضدهم ، ينظر: ابن خلدون ، نفسه ، ص488.

6– بلحاج محمد ، نفسه، ص 5.

أما ما بين (832-835هـ/1428-1431م) ، شهد الزيانيين تدخل حفصي جديد في شؤونهم الداخلية في عهد أبي فارس ، حين قام المستنصر الحفصي بغزو تلمسان بجيش ضخم العدد والعدة ، وحاصرها لمدة ، وانتهى الحصار بعد تدخل أبي العباس أحمد بن الحسن ، مقابل بيعة السلطان الزياني الجديد له ، فقبل السلطان الحفصي الرأي ، ووافق عليه[1]، ثم في سنة (870هـ/1460م) غزا الحفصيين تلمسان بعد نكثهم البيعة الحفصية ، فحاصروها ودارت بينهما عدة معارك ، الى ان تدخل القضاة والفقهاء لدى السلطان الحفصي طالبين العفو منه ، وبايعوه مرة اخرى[2]، وشنوا عيلها حملة أخرى بعد ابطال ولائهم للحفصيين ، واعلنوا استقلال مملكة بني زيان، فهاجمهم السلطان الحفصي المنتصر ، واسترجعها ، وكانت هذه هي صراعات الدولة الحفصية مع الدولة الزيانية[3].

أما في صراعها مع بني مرين ، فقد ذكرنا سابقا انهما قد جمعتهما علاقة صداقة وتعاون في البداية، وذلك ما أكده لنا الناصري من خلال تقديم بني مرين الطاعة والولاء لبني حفص وذكر اسم الامير الحفصي أبي زكريا على منابر المغرب[4] ، كما اشترك بني مرين مع الحفصيين في حربهم ضد بني الواد بعدما جمعتهم رابطة المصاهرة[5]، كما شارك المرينيين بقيادة الأمير أبو الحسن مع الحفصيين ضد أبو تاشفين الزياني[6].

إلا أنهم نكثوا فيما بعد هذه الدعوة ، فتحول هذا التحالف إلى صراع بعدما حاول بني مرين السيطرة على أملاك الدولة الحفصية[7]، وفي وسط القرن الرابع عشر ميلادي

1- ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 80.

2- بلحاج محمد ، المرجع السابق ، ص 6.

3 – نفسه ، ص100.

4 – ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص96.

5 –العروي ، المرجع السابق ، ص 205.

6 –عبدالله شريط ، محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص104.

7 –العروي ، نفسه ، ص205.

(14م)[1]، واضطربت أحوال الحفصين بعد أن تغلب عليها السلطان أبي الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م) ، وتمكن أبو الحسن من الاستيلاء على بجاية ، وترك بها حامية لمدة ثمانية أعوام[2]، ثم احتل قسنطينة وطرد منها الحفصيين وهذا ما شار اليه ابن خلدون بقوله << ...واضطربت احوال الدولة بعد ان تغلب عليها السلطان أبي الحسن المريني ، ...وسلم له الامير زيد ابن أبي عبدالله محمد ابن أبي زكريا مدينة قسنطينة)[3] .

فانتهز أبو الحسن المريني بعد وفاة أبي بكر الذي كان صهره فرصة الخلاف بين الاخوين أبو زيد وأبي العباس أحمدو تحرك الى تونس عام (1347م)[4]، بعدما سيطر على إماراتها(بجاية وقسنطينة)،وتلمسان التي ولى عيها ابنه أبي عنان وعلى سائر المغرب الاوسط سنة (747هـ/1346م)[5]،لكن أهل قسنطينة قد ثاروا عليه بدعم من أبي الفضل الحفصي ، بعدما استنجد به سكان قسنطينة وكذا أهل بجاية الذين ثاروا على حامية بني مرين وذلك بعدما سئموا حكمهم[6] ، وهذا ما أشار اليه الناصري في قوله "<<...فلما غلب أبو الحسن على بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس ...وكان أهل قسنطينة وبجاية قد سئموا ملكة بني مرين ، وبرموا لولايتهم لمخالفتهم بعض العوائد التي كانت لهم مع الملوك

1 – عبدالله شريط ، محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 104.

2– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص522.

3- سلمي عمر ، المرجع السابق ، ص4.

4 – علال بن عمر ، المرجع السابق ، ص 63.

5 - ابن خلدون ، نفسه ، ص579.

6- أبو العباس الناصري ، المصدر السابق ، ص 163.

الحفصيين ، ولأن الصبغة الحفصية كانت قد رسخت في نفوسهم جيلا بعد جيل فصعب عليهم نزعها...>>[1]، وقد كتب بعض شعراء قسنطينة قصيدة عن الحفصيين نظرا لتعلقهم بهم قائلين فيها :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما لحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل[2].

فهذه القصيدة تظهر لنا مكانة الحفصيين عند القسنطيين وسكان بجاية ، وما مدى كرههم للحكام المرينيين ،وبذلك تمكن أبو الفضل الحفصي أمير بونة من استرجاع قسنطينة من بني مرين عام(750هـ/1349م)[3]، بعدما انهزم أبو الحسن المريني بالقيروان[4]، استغل استغل أبو الفضل فرصة الصراع الواقع بين أبي الحسن وابنه أبي عنان على تونس ، وأعلن نفسه سلطانا للحفصيين في نفس السنة، وسعى بعدها لإعادة السلطنة الحفصية بتونس[5]،فنظم أحوالها وأحوال قسنطينة و بجاية، لكن بعد مدة تحالف ضده أبو محمد بن

1– الناصري ، المصدر السابق ، ص163.

2 –علال بن عمر ، المرجع السابق ، ص 46.

3–ابن المبارك بن العطار ، ص81.

4- علا ل بن عمر ، نفسه ، ص 47.

*بنو تافراكين او تافراجين، هؤلاء من بيوت الموحدين ، عينه السلطان ابي بكر شيخا على الموحدين ، ثم حاجبا لابنه ابي زكريا ملك بجاية ، ينظر : ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص510.

5 – علال بن عمر ، نفسه، ص47.

6 –الناصري ، نفسه ، ص 155.

تافراجين*مع أبي اسحاق (751-770هـ/1350-1369م)، وخلعوه عن الحكم ، وبويع لأبي اسحاق بعدها بسنة[1].

وفي نفس السنة حاول المرينيين غزو تونس بقيادة أبي عنان الذي تولى الخلافة بعد أبيه أبي الحسن ، وذلك بعد رفض ابنة أبي اسحاق الزواج به ، فجهز حملته لغزو قسنطينة في عام (758هـ) بعدما سيطر على بجاية منذ (753هـ)[2]، وتمكن من دخول قسنطينة بعد حصارها لمدة تسعة اشهر عام (758هـ/1357م)، وبعدها سار إلى تونس ، وبذلك سقطت قسنطينة في عهد أبي اسحاق على يد المرينيين[3]،لكن فشل أبي عنان في استمالة القبائل والبدو الرحل جعله يرجع إلى المغرب الأقصى[4]، وهو ما سمحلأمير قسنطينة أبو العباس أحمد بن أبي عبدالله من استرجاع قسنطينة وبجاية وتونس عام (772-796هـ/1370-1394م)[5]، بمساعدة من قبائل الذواودة ، وتمكن هذا الأمير من تنظيم الأسطول البحري في بجاية الذي تمكن به من التصدي للأساطيل الاوروبية المسيحية ، وفي عهده حاول الفرنسيون وإمارة جنوة من تنظيم حملة صليبية ضد تونس لكنها باءت بالفشل[6].

وعرفت قسنطينة مرحلة من الاستقرار والهدوء في عهده، ودخلت من بعده تحت حكم أبو فارس، وخرجت عن سيطرته ثم أعادها، وفي القرن الخامس عشر لم يحدث بها ما يستحق

1 –الناصري ، نفسه ، ص 155.

2– عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص 29.

3–عبدالله شريط ، محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص 93.

4–علال بن عمر ، المرجع السابق ، ص 47.

5- شريط ، الميلي ، نفسه ، ص 94.

6–ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 81 .

الذكر ، وكان يتولى حكمها أبناء صولة ، وهم فرقة من الذواودة وبعض عائلاتها كعائلة عبد المؤمن ، وعائلة ابن الفكون ، وابن باديس[1].

3- قسنطينة أواخر العهد الحفصي: كانت قسنطينة تتبع الحكم الحفصي إلى جانب بجاية وعنابة خلال القرن (15م) و إلى غاية القرن (10هـ-16م)[2]، والذي كان مقره تونس، وولاتها يعينون من طرف الأمير الحفصي ، فكل ما كان يحدث في نظام الحكم بتونس من تغيير أو انقلاب أو تدخل خارجي ينعكس على قسنطينة[3]، ونتيجة لشيوع الاضطرابات الداخلية التي عرفها النظام الحفصي من تمردات وخلافات بين بعض امرائها[4]، والهجمات المتكررة من جيرانهم الزيانيين وبني مرين ، أو القبائل العربية التي كانت تستنزف قوة الحفصيين وعلى رأسهم قبيلة الذواودة في عهد أبي العباس الحفصي الذي أنفق في حربه معها حوالي 80 الف دينار[5]،إلى جانب الاطماع الخارجية التي تتمثل في التدخل الاسباني في شؤون الحفصيين[6]، والجانب العثماني بالغرب المتوسط ، بفضل الحركة الجهادية التي تزعمها الاخوة بربروس (عروج وخير الدين)* والدويلات الايطالية[7].

نتيجة لذلك دخلت الدولة الحفصية في مرحلة الضعف والتقهقر منذ نهاية القرن (9هـ/15م)، فأخذت قسنطينة العاصمة الثانية للدولة الحفصية تخرج تدريجيا عن السلطة

---

[1]–ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 81 .

[2]–ISABELLE GRANGAUD , La ville imprenable .Histoire sociale de constantine au XVIIème Siècle , Archives – ouvert , HAL , Submitted , 2010, p244.

[3]- أبو القاسم سعدالله ، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2005 ، ص 12.

[4]- ابن قنفذ القسنطيني ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تح : محمد الشاذلي النيفر ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، 1986، ص 187.

[5]–نفسه ، ص 188.

[6]- نصر الدين سعيدوني ، الشرق الجزائري ... ، المرجع السابق ،ص22.

7 - سعيدوني ، نفسه ، ص 12.

المركزية بتونس[1]، بعدما تراجع نفوذ خلفاء الحفصيين فيها ، وفشلهم في التصدي للغارات الخارجية ، وبلغ اضطراب الدولة مداه بعد وفاة السلطان أبي عمرو عثمان ، حيث زالت هيبة الدولة ،ومن بعده اضطربت أحوال الجند ، وحدثت بين ملوك الحفصيين وبين الأعراب عدة وقائع [2] ،وذلك على عهد أبي الحسن الحفصي سلطان تونس[3]، وفشل أمير قسنطينة أنذاك عبد العزيز في الدفاع عن مقاطعاتها، بعدما احتلت اسبانيا بجاية ودلس والجزائر سنة(915هـ/1510م) من غير مقاومة حفصية [4].

وهذا الانحلال الذي شهدته الدولة الحفصية سهل المهمة على القوات الاسبانية بقيادة شارلكان فيما بعد مما جعلها تطمع في مركز السلطة الحفصية تونس[5]، خاصة بعدما استنجد بها السلطان أبي الحسن الحفصي لما يأس من نصرة الأعراب للتصدي لخير الدين بربروس الذي عزم على امتلاكها بعدما علم بالضعف الذي آلت اليه، فاستجابت اسبانيا لنداءه[6]، ونزل جيشوها في حلق الوادي واستقروا بها (1535-1574م)[7]وبذلك دخلت تونس تحت حماية اسبانية[8]،الذين نهبوا البلاد واستباحوها بالقتل والأسر، وتوسعوا ليستولوا على معظم مدن الحفصيين (المهدية والمنستير وجزيرة جربة وطرابلس ...) وسيطروا عليها إلى أن استرجعها منهم العثمانيين سنة 958هـ[9]، وعمل الاسبان منذ دخولهم إلى تونس على استمالة سكانها وتحريضهم على الملوك الحفصيين ، فجعلوا الرعية لا تثق بهم ولا

1- جميلة معاشي ، المرجع السابق، ص 108.

2 - محمد بن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 160.

3 - محمد بن المبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2، ص412.

4 - المبارك الميلي ، نفسه ، ص414.

5 - الهادي شريف ، خلاصة تاريخ تونس المرجع السابق ، ص 55.

6 - حسن حسيني ، المرجع السابق ، ص126.

7 - ابن أبي دينار ، نفسه ، ص 175.

8 - عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة ، الجزائر، 2002م ، ص79.

9 - حسن حسيني ، نفسه ، ص 126.

تهابهم بل تقف إلى جانب القراصنة المغامرين من الأتراك أمثال درغوث ، ولذلك استقبلت الرعية بارتياح مقدم الجيوش العثمانية التي حلت بالقرب من تونس عام 1574م[1].

فتأزم الوضع بعدما خرجت عن السلطة المركزية بتونس ، وأصبحت تخضع مباشرة لسلطة رؤساء القبائل ، والأسر الحاكمة ، وإلى جماعة المدينة المكونة من أعيانها مثل أسرة عبد المومن ، والفقون ، والكماد ، وباقي الأسر العريقة في قسنطينة[2]،ولم تستطع الدولة رغم محاولاتها المتكررة أعادت سيطرتها على الوضع بالمدينة وأريافها وفرض نفوذها من جديد على السكان ، فكانت كلما أرسلت واليا جديد قتل ، وبذلك بقيت قسنطينة ولفترة طويلة لا تخضع لأي حكم مركزي[3]، رغم وجود بعض الأسر التي أبقت ولائها للحفصين كأسرة عبد المؤمن[4]، وخير دليل على الانحلال الذي عرفته الدولة الحفصية في زمنها الأخير، ما ذكره ابن أبي ضياف بقوله<<...وهناك انقطع الخبر ، وعمي الأثر، وطويت صفحات أخبار العلماء بما حل بالحضرة في المائة العاشر من الفتن ، وتقلص ضل الدولة الحفصية عنها وتجاسر عليها الثوار من كل جانب ، وتناقضت أطرافها ، وأجلبت الأعراب عليها...>>[5].

ثانيا . قسنطينة خلال العهد العثماني :

الأوضاع السياسية : كان اقليم قسنطينة منذ أواخر العهد الحفصي ، يشهد فراغا سياسيا واضحا لم تستطع الدولة ملأه رغم محاولاتها المتكررة[6]، وذلك نتيجة للأوضاع المتدهورة

1 - الهادي شريف ، المرجع السابق ، ص 55

2-سعيدوني ، الشرق الجزائري ، المرجع السابق ، ص 22.

3 - معاشي ، المرجع السابق ، ص 108.

4 -سعيدوني، نفسه ، ص 23.

5 - أحمد ابن أبي ضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، منشورات زخارف، تونس، 2016م ، ص 62.

6 -معاشي ، المرجع السابق ، ص 109.

التي آلت إليها الدولة الحفصية في تونس ، بسبب الفتن الداخلية والأطماع الخارجية خاصة بعد ظهور التنافس الاسباني العثماني على سواحل المغرب[1]، وبطبيعة الحال فإنه من البديهي أن يتأثر الشرق الجزائري ، ومن ورائه المدن الرئيسية كقسنطينة وبجاية بكل ما يحدث بمركز السلطة بتونس[2] .

هذا التدهور والضعف السياسي الذي شهدته الدولة الحفصية وإماراتها ، جعلها عرضة للأطماع الخارجية وأشعل وتيرة التنافس بين اسبانيا المسيحية من جهة ،والدولة العثمانية حاملة لواء المسلمين من جهة أخرى ، فهذه الأخيرة بعدما ضمت الجزائر بقيادة الاخوين عروج وخير الدين بربروس، استجابت لطلب الاستنجاد من طرف سكان الجزائر[3]، للتخلص من المد الصليبي، فبعدما تمكن خير الدين من ضم الجزائر الى الخلافة العثمانية[4]،علم بما آلت إليه مملكة الحفصيين من الهرم والاضطراب فعزم على امتلاكها ، فاستولى على بنزرت، لكن السلطان الحفصي أبي الحسن قد استنجد بالإسبان لإنقاذه من العثمانيين ، واستجابوا له ، وطردوا القوات العثمانية من تونس[5].

وبعدما سيطروا على معظم المدن التونسية مدوا أعينهم إلى إقليم قسنطينة وعينت لها حاكما على عنابة[6]،إلا أن خير الدين بعدما تمكن من ضم معظم المدن الساحلية الجزائرية مثل جيجل والقل ، قد مدى نفوذه الى قسنطينة وعنابة عام 1522م [7]، وأصبح يتطلع إلى

---

1 – سعيدوني ، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق ، ص 12.

2– بلخوص الدراجي ، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية ببايلك قسنطينة، اشراف: مختاري حساني ، رسالة ماجيستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2012، ص16.4

3 –مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ،ص44.

4 –نفسه ، ص52.

5 – حسن حسيني ، المرجع السابق ، ص127.

6– أبو القاسم سعدالله ، شيخ الإسلام ... المرجع السابق ، ص 12.

7 – أرزقي شويتام ، المجتمع الجزائري وفعالياته 1519–1830م ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2006م ،ص31.

امتلاك إقليم قسنطينة خاصة ليجعلها ضمن حدودهم الدفاعية الشرقية ضد الاسبان[1]،خاصة وأن الوضع بقسنطينة كان ينبئ بزوال الحكم الحفصي ، واستعداد معظم السكان لاستبداله بأي حكم يستجيب لمطامحهم في الأمن والاستقرار، وهو ما مهد الطريق أمام العثمانيين لدخول مدينة قسنطينة ثم التوسع في أريافها[2] .

والملاحظ أن الأرآء تضاربت حول تحديد التاريخ الفعلي للدخول العثماني لقسنطينة، وهذا ما يؤكده "ابن المبارك" حيث يذكر أن هناك اختلاف في الروايات حول تحديد تاريخ دخول العثمانيين إلى قسنطينة ويقول <<...نجدها تتسم بشيء من التحفظ والتباطؤ في قبول الدخول تحت الايالة العثمانية التركية ...وقد تعددت روايات المؤرخين في تاريخ دخول مدينة قسنطينة في طاعة العثمانيين...فبعضهم يحدده سنة (927هـ/1529م) أي في عهد خير الدين باشا...>>[5].

ولابن أبي دينار مؤرخ الدولة الحفصية رأي آخر في ذلك أيضا فإنه يرجعه ما بعد زوال الحكم الحفصي بتونس ، أي في حدود (93هـ 1536م)، و يحدد تاريخ دخول قسنطينة تحت طاعة العثمانيين في عام 1546م ، أي في عهد فرحات باي[6] .

أما "فايسيت" فجعله 1517م[7]، و"ميرسي" جعله مابين 1519-1522م[8] ، و"دافيتي" جعله عام 1522م، و"ليمبري" جعله عام 1526م ، أما "العنتري" فقد رجحه الى سنة

1 –سعدالله ، تاريخ الجزائر....، المرجع السابق ، ص 13.

2–معاشي ، المرجع السابق ، ص 109.

3- ابن المبارك بن العطار ، المصدر السابق ، ص 48.

4 –ناصر الدين سعيدوني ، الشرق الجزائري (بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي) دار البصائر، الجزائر،2013، ص 21.

5– Vayssettes Engéne , Histoire fr Constantine Sous La domination Turque (1517-1830) Edition Bouchene France , 2002 , p4

6 – Mercier, histoir de ....,opcit , p191.

7 –العنتري ، نفسه ، ص 6.

1050هـ-1640م[1]، حين قال <<...أما الترك أسسوا برجا خارج البلاد يسكنون فيه ، وكل الترك الذين يأتون (كذا) من الجزائر ينتمون إليه ، وكان دخول الترك في قسنطينة عام ألف وخمسين ...}[2].

ولكن أبو القاسم سعد الله قد قدم رأيا مخالفا للتاريخ الذي حدده ابن العنتري ، مستندا في ذلك على ما قاله صاحب كتاب علاج السفينة أوليا جلبي ، بأنه قد نفى ما قاله العنتري قائلا<<...وما ادعه ابن العنتري في كتابه أن دخول الترك في قسنطينة في سنة1052هـ فهو غلط...>> ، ثم أثبت بالوثائق الكثيرة التي عثر عليها، منسوبة إلى قضاة قسنطينة أثناء عمله كمترجم، أن التاريخ الصحيح هو 935هـ-1526م، خلافا لابن العنتري[3]،وصاحب كتاب تحفة الزائر فيرجح تاريخ دخول العثمانيين الى قسنطينة في عهد حسن باشا بن خير الدين[4] ،وهناك من أكد أن العثمانيين قد استقروا بقسنطينة بعدما استرجع خير الدين مدينة الجزائر من ابن القاضي في عام(932هـ-1525م)، إلا أنه فضل ترك تسيير شؤونها لبعض الأعيان أمثال: شيخ العرب* ،أولاد صولة أو صاولة ، وأفراد من أسرتي الفقون ، وعبد المومن[5] .

---

8 – العنتري ، المصدر السابق ، ص46.

1- أبو القاسم سعدالله ، أبحاث واراء ...،المرجع السابق، ص 332.

2- محمد بن عبد القادر ، المصدر السابق ، ص123.

*كان شيخ العرب (الذواودي)يحكم جميع قبائل الاوراس ، ويمتد نفوذه الى واد سوف وحتى ورقلة وعرب الصحراء الرحل ، وقد توارث هذا المنصب أبناء اسرة بوعكاز الذواودي ،قبل ان تنافسها فيه اسرة بن قانة ، ينظر : عبدالرزاق قشوان ، المرجع السابق ، ص 63.

3 – نفسه ، ص 62.

4 – محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص 36.

5 – ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 49.

وكان لهذا التأخير في ضم المدينة عدة أسباب ، منها أن بعض سكان قسنطينة هم من أخروا دخول العثمانيين إليها ، نظرا للمقاومة التي لاقتها الجيوش العثمانية وهم يحاولون اجتياح حصانتها بمقاومة شعبية في منتهى الشراسة والانسجام ، مما أجبرتهم على التراجع والاكتفاء بضرب الحصار لفترة من الزمن[1] .

وهنا نستنتج أن قسنطينة في هذه المرحلة قد عاشت فترة من الاضطرابات الداخلية التي أدت إلى انقسام السكان بين معارض ومؤيد للحكم العثماني[2]، وكان ذلك نتيجة الفراغ السياسي الذي شهدته المدينة، بعد سقوط الدولة الحفصية ، وبازدياد ضعف السلطة المركزية وإنكماشها[3] ، برزت القوى المحلية ذات النفوذ السياسي والديني وتحولت إلى عشائر[4]، ذات سلطة تدير شؤونها بنفسها[5] ، فاقتسموا مقاليد الحكم، فأصبحت قسنطينة تخضع مباشرة لسلطة رؤساء القبائل والأسر الحاكمة وإلى جماعة المدينة المكونة من أعيانها ، وعلى رأسهم أسرة عبد المؤمن ، ذات النفوذ الديني على عهد الحفصيين[6]، والتي أشار اليها العديد من المؤرخين بأنها السبب الذي أخر الاستيلاء العثماني على قسنطينة الى غاية النصف الثاني من القرن السادس عشر.

*تأسيس بايلك الشرق: فبعد تعين خير الدين بايلرباي على الجزائر1518م ، تمكن من ضم المدن الساحلية وتوجه إلى قسنطينة ،وتوغل فيها ووضع عليها حامية تتكون من

1 –ابن المبارك بن العطار ، المصدر السابق ، ص49.

2 –أبو القاسم سعدالله ، تاريخ الجزائر الثقافي(1500–1830م) ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، ج1، 1998م ، ص 520.

3 –معاشي ، المرجع السابق ، ص107.

4 – سعيدوني ، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق ، ص12.

5– بلخوص الدراجي ، المرجع السابق ، ص9.

6 –معاشي ، نفسه ، ص107.

600جندي ،تحت قيادة قائد العسكر يوسف باشا ، وهذا بمثابة ، تمهيدل للحكم المباشر، فحثه على تحسين العلاقة مع سكان قسنطينة ، فتقرب من عائلة الفقون، وكان هذا أول اتصال بين العثمانيين وسكان قسنطينة ، خاصة بعد تعيين أبي القاسم الفقون*قاضيا على قسنطينة[1]، وهذا بعد أول اتصال مباشر بينهما[2] .

وفي عهد حسن بن خير الدين قام بتقسيم البلاد إلى ثلاث بايلكات من أجل ضبط السلطة وإقامة إدارة محكمة ، وهي بايلك الغرب ، وبايلك التيطري وبايلك الشرق عاصمته قسنطينة ، ودار السلطان، ويحكم كل بايلك نائب عن الباشا بالجزائر يحمل لقب الباي، وعين على بايلك قسنطينة رمضان تشولاق باي 1567م من طرف صالح رايس ، وبقي بقي في منصبه حتى عام 1574م[3].

لكن لا يمكن اعتبار هذا هو التاريخ الفعلي لاستقرار العثمانيين في قسنطينة، فكانت هذه مجرد حيلة سياسية للتمهيد للحكم المباشر ، الذي تم لها حسب العنتري سنة1050هـ/1640م، ذلك أن الوجود العثماني بقسنطينة لم يكن قبل هذه الفترة إلا رمزيا وغير مستقر، نظرا لما شهدته من اضطرابات وثورات داخل المدينة وخارجها أهمها ثورة ابن الصخري 1637م[4]،التي تزعمها ابن احمد الصخري، وثورة ابن عبدالمومن1642م[5].

*سيدي القاسم الفقون ،كان قاضيا بمدينة قسنطينة ، وكان تولى امامة جامع البلاط بتونس حين انتقل والده اليها به ، توفي سنة965م، انظر: عبدالكريم الفقون ، منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية،ط1 ، تح: أبو القاسم سعدالله ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 1978،ص 43.

1 –نفسه ، ص43.

2 –بلخوص الدراجي ،المرجع السابق ، ص 15.

3 –العنتري ، نفسه ، ص30.

4– نفسه ، ص51.

5 –نفسه ، ص53.

ربما الاختلاف الذي رأيناه بين المؤلفين حول تحديد الدخول العثماني الرسمي لقسنطينة ، كان نتيجة لجملة من الأسباب ، من بينها أن الولاة الذين نصبوا على بايلك قسنطينة في البداية كان معظمهم محليين وليسوا من الأتراك، ويختارون من طرف السكان ، وهذا دليل على استمرار الحكم المحلي في قسنطينة إلى ما بعد ثورة ابن عبد المومن 1642م[1]، وإلى غاية عهد عبد الرحمن باي بن فرحات 1709م ، أخر البايات من العرب[2].

كما أن الحامية العثمانية كانت تستقر خارج المدينة (سطح المنصورة)ولم يكن يسمح لها بالدخول[3].

وكان أول باي أثناء الحكم المباشر لقسنطينة ، فرحات باي ، نالت على عهده الهدوء والاستقرار ، واستمر الوضع حتى عهد صالح باي الذي قتل عام1792م، فأخذت في التراجع ، وجاء بعده 17بايا كانوا جبارين ، فوقع الاضطراب في قسنطينة ، وآخر باي تولى حكمها هو أحمد باي ، وكان رجلا يقظا وحازما ، واستقل بالحكم في قسنطينة بعد احتلال مدينة الجزائر[4].

إن ما يمكن تأكيده ، هو أن الوجود العثماني في مدينة قسنطينة لم يكن موجودا في النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي ، اذ لم نعثر في المصادر المحلية التي تناولت قضايا التحبيس وغيرها من المسائل في الفترة المذكورة ، على العناصر العثمانية ، فأسماء القضاة والفقهاء والاداريين عامة ، وأسماء المحبسين ، كانت كلها محلية[5].

1 – صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص45.

2 – نفسه ، ص43.

3– معاشي ، المرجع السابق ، ص113.

4 – ابن العطار ، نفسه ، ص 111.

5 – شويتام ، المرجع السابق ، ص32.

2 – الأوضاع الاقتصادية:

رغم الظروف السياسية التي عرفها المغرب الاسلامي ، وخاصة المنطقة الشرقية التي تميزت بالفوضى وأدت الى تدهور الحياة الاقتصادية ، إلا أننا نلاحظ أن مدينة قسنطينة قد حافظت على الحركة أو النشاط الاقتصادي كما كانت عليه منذ العهد الحفصي ، إلى غاية القرنيين السادس عشر(16م) والسابع عشر ميلادي(17م).

كانت جل النشاطات الاقتصادية في الجزائر متمركزة في المدن الكبرى مثل : مدينة الجزائر والمدية وهران وتلمسان وقسنطينة[1]، فهذه الأخيرة احتلت المرتبة الثانية من حيث الأهمية الاقتصادية بعد مدينة الجزائر ، بحكم موقعها الاستراتيجي في مركز السهول العليا المنتجة للأنعام[2]، وهذا هذا الإقليم يعد من أكثر أقاليم الأيالة الجزائرية ثروة وخصوبة ، ومن أوسعها مساحة[3].

وقد لعب الشرق الجزائري دورا هاما في علاقة الجزائر بتونس بدرجة أولى ، وبين موانئ المشرق العربي والاسلامي ،نظرا لكونها منطقة غنية بالثروات البحرية والموارد الزراعية مثل الحبوب وغيرها ، زيادة على ذلك فإن جل الموانئ الجزائرية كان ترتكز في بايلك الشرق مثل : ميناء عنابة ، ميناء ستورة بسكيكدة ، وميناء القالة ، والقل ،وجيجل ، وبجاية فكانت هذه الموانئ تستقطب منتوجات قسنطينة وتتعامل مباشرة مع الموانئ الأوروبية[4]،التي تتم عن طريق شركاتها التجارية المتمركزة في الجزائر خاصة في بايلك الشرق مثل : الشركة الملكية

1– عمار عمورة ، المرجع السابق ، ص106.

2 – وليم سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر، تق: عبدالقادر زبادية ، دار القصبة ، ص140.

3 – سعيدوني ، الشرق الجزائري..، المرجع السابق ، ص147.

4– بدر الدين شعباني ، المصنوعات المعدنية الجزائرية خلال العهد العثماني(10–13هـ/16–19م)، أطروحة دكتوراه ، معهد الاثار ، جامعة الجزائر ، 2009، ص26.

الافريقية*، وشركة بوجناح وبكري المشهورة التي انتقل نشاطها فيما بعد إلى قسنطينة[1]، وهذا ما أكده الأسير "فندلين شلوصر" قائلا"...وكانت قسنطينة ، فيما يقوله أهاليها ،مركزا تجاريا هاما في السابق ، وذلك لموقعها بين الجزائر وعنابة وتونس..."[2].

أ/الزراعة: كانت الحياة الاقتصادية في إقليم قسنطينة تعتمد على الفلاحة وتربية المواشي اساسا، ثم النشاط التجاري ، والصناعات التقليدية ، التي كانت تدر على اصحابها مردودا لابأس به[3]، وقد تميز النشاط الإقتصادي في هذه الفترة بسيادة الطابع الزراعي المزدوج ،الفلاحي والرعوي، وغلب عليه الاستهلاك المحلي[4]، حيث اشتهرت قسنطينة في البداية في المجال الزراعي قبل مجيئ العثمانيين وبعد مجيئهم ،ورغم عدم اهتمامهم بها ،إلا أن الإنتاج الزراعي كان يغطي حاجيات السكان ، كما أن نوعية المحاصيل الزراعية في البايلك كانت ذات شهرة عالمية[5]، خاصة القمح، وقد أشار الى ذلك ايضا "فونتير دي برادي" في كتاباته أن قمح إقليم قسنطينة أجود قمح نظرا لما يعطيه من طاقة للمستهلك ، وصنفه في المرتبة الثانية بعد قمح سردينيا[6]،حيث كان الصاع الواحد منه يباع بحوالي عشر الى إحدى عشر فرنكا[7]، ويرجع هذا الإزدهار إلى عدة عوامل ، نذكر من بينها :

*أنشئت هذه الشركة بأمر ملكي أصدر يوم 1741/08/25م، وتوقفت عندما خلفتها الوكالة الافريقية يوم 1794/02/27م، ينظر: محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص84.1

1 –الزبيري ، نفسه ، ص84.

2– فندلين شلوصر ، المرجع السابق، ص 74.

3 – العنتري ، المرجع السابق ، ص18.

4 – نفسه ، ص19.

5 – الزبيري ،نفسه ، ص60.

6 – صورية حصام ،العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ ، جامعة وهران ، 2013، ص151.

7 – الزبيري ، نفسه ، ص59.

-**الأراضي الزراعية** : تشتهر المنطقة بوفرة الأراضي الخصبة ، حيث أشار إلى ذلك حسن الوزان حين قال أن قسنطينة تحيط بها عدة أراضي خصبة ، وتوجد بها البساتين الجميلة[1]، ونفس القول نجده عند "مارمول كربخال"حين قال "...أنها بلد كثيرة الخصب حتى أن الصاع الواحد من البذور يعطي ثلاثين صاعا من الغلة، وفي ارجائها عدد من المراعي الجيدة ..."[2].

-**التنوع المناخي** : إن شساعة إقليم بايلك قسنطينة ، وامتداده من الشمال حيث المناخ المتوسطي المعتدل إلى الجنوب حيث المناخ الصحراوي سمح بتنوع المحاصيل الزراعية، فكانت تنتج أجود الحبوب ، ولموقعها أيضا في مركز السهول العليا المنتجة للأنعام ،حيث أن أجود خيول المنطقة البربرية كانت تربى في هذه الناحية[3].

- **الفئةالأندلسية** : كان للأندلسيين الدور الكبير في التطور الزراعي في البايلك ، بعدما نقلوا معارفهم الزراعية إلى المنطقة ، وساهموا باستصلاح الأراضي ، وخاصة ناحية عنابة ، فغرسوا الأشجار المثمرة المتنوعة من كروم وتفاح وزيتون وعناب[4].

أما الأراضي التي كانت تنتج هذه الخيرات ، فكانت مقسمة إلى : أراضي العرش، الأراضي الخاصة ، و أراضي العزل،و أراضي الحبس[5].

---

1 – الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص58.

2– مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ص12.

3 –سبنسر ، المرجع السابق ، ص150.

4 – شويتام ، المرجع السابق ، ص37.

5 - فلة القشاعي موساوي ، االنضام الضريبي في الريف القسنطيني أواخر العهد العثماني(1771–1837م)، أطروحة دكتوراه ، ص95.

كما كان لبعض حكام قسنطينة الدور الأكبر في تفعيل حركة النشاط الفلاحي مثل : صالح باي ، الذي ولى هذا المجال أهمية كبيرة ، وكذا أحمد باي الذي اكمل مشروعه ،حيث تمكنا من توسيع أراضي البايلك حول قسنطينة والهضاب العليا واستغلال السهول الخصبة ، وقاما بتنظيم الضرائب تتماشى مع وضعية الفلاح[1]، وبنى برجا عسكريا لمراقبة الأعمال الزراعية[2].

ب/الصناعة : أما في الجانب الصناعي ، فإنها تعتبر من اهم المراكز الصناعية في الجزائر[3]، رغم أنها لم تصل غلى درجة التطور ، إلا أنها اشتهرت بعدة صناعات من أهمها الطرز المحلي و الصياغة النسائية[4]، الصناعات النسيجية ، خاصة مع وجود المواد الأولية كالصوف ، والذي كانت عنابة تشتهربه على المستوى العالمي[5]، وكان يوجد بها عدة مصانع ،منها 33 مصنعا لدباغة الجلود و176 معملا للأحذية[6].

ويوجد بقسنطينة عدد كبير من الحرف ، ولاسيما الحدادون ، و السمارين والنجارين ...الخ[7]

وكانت الصناعة المحلية منظمة بطريقة دقيقة ، بحيث كان الحرفيين منخرطين في نقابات حسب التخصص ، فنجد شارع الدباغين ، وشارع النجارين ، والحدادين ...الخ[8]،

---

1 –القشاعي موساوي ، المرجع السابق ، ص 51.

2 – رياض بولحبال ، المرجع السابق، ص29.

3 – الزبيري ، المرجع السابق ، ص62.

4 - ابو القاسم سعدالله ، تاريخ الجزائر .... ، المرجع السابق ، ص176.

5–بلخوص الدراجي ، المرجع السابق ، ص26.

6 – عمار عمورة ، موجز ، ... ،المرجع السابق ، ص106.

7–شلوصر، المصدر السابق ، ص 87.

8 – عمار عمورة ، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق ، ص106.

ويحتكر اليهود الأعمال المتعلقة بالذهب والفضة[1]، وبهذا عرفت قسنطينة نشاطا صناعيا رغم الأدوات البدائية التي كان يستعملها الحرفيين[2].

ج/ التجارة : وفيما يخص التجارة ، فكان لها الحظ الأوفر من النشاط الإقتصادي ، وهذا نتيجة للموقع الاستراتيجي للبايلك فهو يطل على البحر المتوسط من جهة ، واشتراكه في الحدود مع عدة مناطق من جهة أخرى ، كل هذا كان له دورا كبيرا في ازدهار التجارة بشقيها الداخلي والخارجي ، فعلى المستوى الداخلي تنوعت الأسواق المحلية حسنة التنسيق[3]،وانتشرت الدكاكين والحمامات[4]، والمحلات التجارية كمحلات الأقمشة المصنوعة محليا[5]، وكانت تعقد هذه الأسواق أسبوعيا في ساحة كبيرة من بعض القرى المركزية أو خارج المدن ، ويأتيها المنتجون والمستهلكون من المناطق المجاورة[6].

أما على المستوى الخارجي فكانت قسنطينة من الطرق التجارية الكبرى ، التي تلتقي عندها محاور التجارة الدولية ،و ذلك منذ العهد الحفصي سواء عن طريق البحر أو عن طريق البر ، فعن طريق البر فكانت تتم بواسطة القوافل التجارية بين افريقيا وبلاد المغرب وتونس بشكل خاص[7]، ومارس اليهود تجارة القوافل أيضا[8]، وكانت تمر بها قوافل الركب

---

[1] – شلوصر ، المصدر السابق ، ص87.

[2] – الزبيري ، المرجع السابق ، ص64.

[3] – الوزان ، المصدر السابق ، ص56.

[4] – سعدالله ، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق ، ص176.

[5]– الحسن الوزان ، نفسه ، ص56.

[6]– صورية حصام، المرجع السابق ، ص151.

[7] –نفسه ، ص147.

[8] –نفسه ، ص159.

(مكة والمدينة المنورة)باعتبارها طريق تجاري[1]، أما عن طريق البحر أي مع اوروبا التي تتم عن طريق الموانئ سابقة الذكر، بواسطة الأجانب ، وعدد قليل من الجزائريين[2].

***الصادرات والواردات** : تنوعت الصادرات ببايلك قسنطينة من منتجات نباتية وعلى رأسها المرجان و الحبوب وخاصة القمح والشعير والفول والزيت إلى المنتجات الحيوانية من صوف وجلود وغيرها من المواد[3]، والمواشي كالأبقار[10] ،والأغنام ، والشمع والشحم[11] .

أما الواردات ، فكانت تتمثل في المواد التي كانت مفقودة في البايلك ومنها : الأقمشة الحريرية والقطنية ، السكر ، التوابل وبعض المواد الأولية الأخرى[4].

أما العملة فهي السكة التي أمر أحمد باي بضربها ،وهي السلطاني ذو ال5 ريالات ونصف السلطاني ذو2،5 ريال(عادة ريال واحد)[5].

3- الأوضاع الاجتماعية :

كان للظروف السياسية والاقتصادية التي عرفها اقليم قسنطينة ، الأثر البالغ فيما أصبحت عليه الحياة الاجتماعية في هذا البايلك ، فالخروج من الحكم الحفصي والانطواء تحت الحكم العثماني وما صاحبه من فوضى واضطرابات في البداية ، ثم استقرار للأوضاع فيما بعد لصالح العثمانيين ، كل هذا ساهم في تغيير المجتمع القسنطيني وتركيبته ، من خلال ظهور عناصر جديدة وبروز عناصر أخرى[3].

---

[9] –شعباني ، المرجع السابق ، ص32.

[10]– الزبيري ، المرجع السابق ، صص65.

[11] – نفسه ، ص85.

1 – الزبيري ، المرجع السابق ، ص85.

2– شلوصر ، المصدر السابق ، ص88.

3 – بلخوص ، المرجع السابق ، ص24.

4 – سعدالله ، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق ، ص157.

كما أنتجت التغييرات الاقتصادية طبقات جديدة تمثلت في العائلات المالكة المشهورة صاحبة القوى والنفوذ في البايلك ، ولمعرفة سمات المجتمع القسنطيني أكثر ومميزاته ، قسمناه الى صنفين : سكان المدينة (الحواضر) ، وسكان الريف (البوادي) :

أ/ سكان المدينة أو الحواضر :

رغم أن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية في الجزائر ، كانت تختلف من جهة إلى أخرى ، إلا أن الطابع الاجتماعي كان واحدا[4] ، حيث تسكن قسنطينة طبقات مختلفة من الناس ، وجزء كبير متكون من العرب والأتراك*، وهذه الفئة الأخيرة تأتي أعلى السلم الهرمي للسكان (من الباشا إلى اليولداش)[1] ، ثم فئة الكراغلة الذين يولدون نتيجة

الزواج بين هذين الصنفين(العرب والاتراك)[2] ، والذي بلغ عددهم حوالي 5025 أتراك وكراغلة[3]، بالإضافة إلى الحضر وهم سكان المدينة أو الحاضرة ، وتشمل هذه الفئة،

---

*نشأ الاتراك العثمانيون على البداوة والترحال إلى ان اعتنقوا الاسلام ، فتحمسوا له بقوة ، فتمسكوا به ودافعوا عنه ، وبعدما اعلنوا عن انشاء دولتهم بالأناضول سنة 1299م حتى رفعوا راية الجهاد ضد الدولة البيزنطية ، التي سقطت على ايدي سلاطينهم ، سنة 1453م، ينظر : جميلة معاشي ، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ والاثار ، جامعة وهران ، 2008م ، ص21.

[1] – حسين بوخلوة ، عبدالكريم الفكون القسنطيني حياته واثاره (988–1073هـ/1580–1663م)،مذكرة الماجيستير ، قسم الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران ، 2009م ، ص21.

[2] – حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تح : العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005م، ص 63.

[3] – مسعود مجاهد ، تاريخ الجزائر ، ج1 ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1966م، ص245.

[4] – رياض بولحبال ، المرجع السابق ، ص33.

[5] – سعدالله ، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق ، ص155.

[6] – مجاهد ، نفسه ، ص245.

[7] –نفسه ، ص 245.

[8]– فلة القشاعي موساوي ، النظام الضريبي في الريف القسنطيني ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1993م ، ص178.

الأندلسين[4]، العلماء ، والتجار ، والحرفيين ،والكتاب ، والإداريين ،والصنايعية[5]، وتليها فئة البرانية أو الغرباء وهم الوافدون إلى المدينة بهدف التجارة أو العمل، وقد بلغ عددهم حوالي 6000[6]، ويضاف إليهم الجالية اليهودية التي وصل عددها إلى 1000 يهودي[7].

ب/سكان الريف أو البوادي :

كان غالبية سكان قسنطينة يقطنون بالأرياف بنسبة 95٪ من مجموع السكان[8]، حيث كان يضم البايلك حوالي خمسين 5/2 من سكان الجزائر كافة أواخر العهد العثماني، إذ يقدرون حسب ما ذهب إليه ياكونوب1.200.000 نسمة من مجموع السكان ،البالغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين نسمة[1]، ويرجح الوزان العدد إلى 40الف نسمة[2].

وقد تميز المجتمع الريفي بالطابع القبلي ،حيث كان سكانها يتوزعون الى قبائل عشائرية عرفت بالأعراش أو القبائل،ومنها من كانت تخضع لشيوخها ، ومنها من كانت خاضعة للسلطة (قبائل الرعية*، قبائل المخزن *، القبائل الحليفة*)[3].

---

1 – فلة القشاعي ، النظام الضريبي ...1771–1837م ، المرجع السابق ، ص 35.

2 – الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص424.

*وهي معظم سكان الريف ، وهي قبائل خاضعة للسلطة ، أثقل كاهلها مختلف الضرائب ، انظر : سعدالله ، شيخ الاسلام...، المرجع السابق ، ص23.

*كانت موجودة منذ العهد الزياني و الموحدي والمرابطي الى غاية العهد العثماني ، وهي عبارة عن بعض القبائل المجندة لاستعمالها كقوة ضاربة للأرياف، مقابل امتيازات ، ينظر : صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830 ، ط2 ، دار الهومة ، الجزائر ، ص 366.

*كانت تعتمد على النفوذ الروحي لرجال الطرق الصوفية وعائلات المرابطين، مثل اولاد سيدي الشيخ التي كانت مقربة وحليفة للبايلك ، لكن احيانا تتحول الى قبائل منفصلة ، انظر: توفيق دحماني ، الضرائب في الجزائر (1206–1282 هـ/1792–1865م)، رسالة دكتوراه ،، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2008م، ص437.

3 – شويتام ، المرجع السابق ، ص166.

4 – فلة القشاعي ، النظام الضريبي...1771م–1837م، المرجع السابق ، ص 37.

5 – صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص33.

أما فيما يخص الحالة الصحية ، فقد تعرض البايلك الى الكثير من الأوبئة والمجاعات خاصة في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي الى غاية الربع الأول من القرن التاسع عشر ، ما أدى الى ارتفاع في الاسعار بسبب قلة المحاصيل ، في فترات الجفاف وسنوات القحط[4]،ومن أهم هذه المجاعات والأوبئة نذكر:

- وباء الطاعون خلال سنتي 1011-1112هـ/1602-1603م ، راح ضحاياه خلق كثير ، ثم تلاه قحط وجفاف ، تواصل مدة تسع سنوات كاملة ، أدى إلى حصول مجاعات حادة [5].
- وفي 1073هـ ، ضرب الطاعون قسنطينة حصد 500ساكن من المدينة و 50 من الضواحي ، وكان من ضحاياه الشيخ عبد الكريم الفكون عام 1663[3].
- و قد مس الوباء الذي ظهر بتونس في عام 1198هـ/1783م ، بايلك قسنطينة في عام 1199هـ/1784م ، و بالرغم من الإجراءات الوقائية التي اتخذها صالح باي فإن الوباء انتقل إلى المناطق السهلية والساحلية ، وخلف عدد من الضحايا ، وصل عددهم إلى 1200 ضحية[4].
- وباء 1202هـ/1787م، وقد خلف الوباء عددا كبيرا من الضحايا [5].

1 – Vayssettes ,Histoir De Constantine.... , opcit , P86.

2 – أرزقي شويتام ، المرجع السابق ، ص 283.

3 – نفسه ، ص 285.

الفصل الثالث: عائلتي الفكون وعبد المومن وموقفهما من الوجود العثماني

أولا : أسرة عبد المومن .

1 – أصل الأسرة .

2 – مكانتها .

3– موقفها من العثمانيين

ثانيا : أسرة الفكون.

1 – أصل الأسرة .

2 – مكانتها .

3 – موقفها من العثمانيين .

أولا :أسرة ابن عبد المومن وموقفها من العثمانيين.

1 – أصل الأسرة :

سبق وأن أشرنا أنها من العائلات الرئيسية في مدينة قسنطينة الى جانب عائلة ابن الفقون وابن باديس ، وهي إحدى الأسر الشريفة[1] ، والتي تنتمي إلى مرابطي المغرب الأقصى أو مرابطي الساقية الحمراء[2] ، ويقال أن الأسرة انتقلت إلى بسكرة وبعدها إلى قسنطينة بعدما استعادها عرب أولاد صولة ، وبذلك استقرت نهائيا بقسنطينة منذ القرن (8هـ/14م) ، حيث وجدت من سكانها ومن حكامها الحفصيين انذاك كل الاحترام[3].

وتعتبر أسرة ابن عبد المؤمن من الأسر العريقة في مدينة قسنطينة وأشهرها في العهد الحفصي ، بكونها كانت مناصرة بشكل مطلق للحفصيين[4] ، لكن مكانتها تراجعت كثيرا خلال العهد العثماني[5] ، بعدما زاحمتها أسرة الفكون واستولت على النفوذ السياسي والاجتماعي[6].

وبذلك تراجع دور هذه الأسرة واضمحل نفوذها في العهد العثماني والدليل على ذلك ، أن الكتابات التاريخية التي أرخت سواء عن تاريخ قسنطينة عامة أو عن القوى المحلية في مدينة قسنطينة خاصة لم تذكر هذه الأسرة بالتفصيل مثلما أعطت النصيب الكبير في

---

[1] - معاشي ، المرجع السابق ، ص107.

[2] - فوزية لزغم ، : فوزية لزغم ، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي ، رسالة دكتوراه ، ، كلية العلوم الانسانية ، جامعة وهران ، 2013م ، ص192.

[3] - معاشي ، نفسه ، ص107.

[4] - عبدالرزاق قشوان ، المرجع السابق ، ص57.

[5] - لزغم ، نفسه ، ص 107.

[6] - صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص38.

كتاباتها لأسرة الفقون وغيرها من الأسر القسنطينية ، وهذا دليل على ركود حظوظها دورها في ظل الحكم العثماني[1].

2- مكانة أسرة ابن عبد المؤمن:

حظيت عائلة ابن عبد المؤمن بمكانة سياسية ودينية وثقافية خاصة في زمن الحفصيين[2]، وذلك منذ استقرارها بقسنطينة نهائيا في القرن التاسع الهجري (9هـ)[3] ، بعدما أقرت بولائها للحفصيين ، فأصبحت من الأسر القوية ، و صاحبة المكانة و الحظوة ، والسلطة والنفوذ لسنوات طويلة ، إلى جانب عائلة الفقون التي نافستها على هذه المكانة والنفوذ[4].

وتعتبر هذه العائلة العريقة (ابن عبد المؤمن) من البيوتات العلمية الشهيرة داخل قسنطينة[5] ، وأهم أسرة دينية في العهد الحفصي[6]، وقد ارتفعت مكانتها إلى أن أصبحت أصبحت ذات سلطة دينية كبيرة لتنال في الأخير لقب شيخ الإسلام وقيادة ركب الحج من السلطات الحفصية[7]، وهذا ما أكده لنا ابن المبارك بقوله <<..وكان سيدي عبد المؤمن هو هو شيخ ركب الحجاز في السنة الرابعة ، يتعين للحج ويمضي معه المسلمون ، هو أمير ركب الحجاز ...>>[8].

---

[1] - سعدالله ، شيخ الإسلام ... ، المرجع السابق ، ص 23.

[2] - شدري معمر ، المرجع السابق ، ص452.

[3] - حسين بوخلوة ، المرجع السابق ، ص26.

[4] - صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 38.

[5] - معاشي ، نفسه ، ص 114.

[6] - نفسه ، ص 116.

[7] – حسين بوخلوة ، المرجع السابق ، ص 26.

[8] - ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص124.

وقد بقيت إمارة ركب الحج في أسرة عبد المومن إلى زمن محمد حفيد عبد المومن ، ثم انتقلت إلى عائلة ابن الفقون في زمن عبد الكريم الفقون الحفيد[1].

ونظرا لمكانتها الدينية باعتبارها أهم أسرة علمية ذات سلطة روحية في العهد الحفصي ، قد كان لها أتباع كثر ، ونظرا لمكانة سيدي عبد المومن بين أتباعه ، قد بنوا له زاوية وجامع ، وبالنسبة للجامع فهو أحد جوامع الخطبة الموجودة في الأحياء الرئيسة ويسمى جامع سيدي عبد المومن بباب الجابية[2] ، أما الزاوية فتعرف بزاوية عبد المومن ، وقد جددها صالح خوجة بن مصطفى سنة (1183هـ-1796م) ، بعدما تصاهر مع بيت عبد المومن[3].

/ موقف أسرة ابن عبد المومن من العثمانيين :

سبق وأن أشرنا إلى الانقسام الذي عرفته مدينة قسنطينة ، بعدما حاول العثمانيين منذ عهد خير الدين بربروس الاستيلاء عليها واخضاعها تحت الحكم العثماني ، لكن الأوضاع التي آلت إليها قسنطينة في تلك الحقبة أدت إلى انقسام سكان المدينة إلى قسمين ، وذلك بعدما وصل العثمانيين إلى مشارف قسنطينة مباشرة محاولين ضمها للخلافة العثمانية .

لكن قد ظهر تياران متناقضان في قسنطينة : التيار المعارض بزعامة الشيخ الكبير ذو النسب الشهير سيدي عبد المؤمن[4]، والتيار الثاني المؤيد بزعامة الشيخ يحي بن محمد محمد الفكون[5]، وبهذا فكانت أسرة عبد المؤمن أول الرافضين للحكم العثماني لقسنطينة

---

[1] - فوزية لزغم ، المرجع السابق ، ص198.

[2] - نفسه ، ص 200.

[3] - سعدالله ، المرجع السابق ، ص 264.

[4] -Vayssettes , opcit , p 66

[5] - معاشي ، الأسر المحلية ، المرجع السابق ، ص 114.

إلى جانب بعض العائلات القسنطينية الأخرى ، فأغلقت أبوابها في وجه حسن آغا بدعم من عرب اولاد صولة[1]، وجاهرت بعدائها للعثمانيين[2].

وكانت هذه المعارضة شديدة إلى درجة أنها كانت السبب المباشر في تأخير دخول العثمانيين المدينة، الأمر الذي جعل القائد حسن آغا يتمركز بسطح المنصورة لمدة ثلاث سنوات[3] ، في انتظار الظرف المناسب لدخول المدينة دون الاضطرار لسفك الدماء ، إلا أن سيدي عبد المؤمن قد خالف تسليمها بعدما قابله الشيخ ابن الفقون الذي توسط للعثمانيين ، وقد أشار "العنتري" الى ذلك اللقاء قائلا << قدموا قسنطينة وكانت تحت حكم صاحب تونس ، وصلوها فنزلوا بطرفها ، راموا دخولها من غير حرب ولا قتال فلم ينتج لهم شيء من ذلك المثال ، إلا من بعد المقاتلة الكثيرة والمحاصرة الطويلة ، ولما طالت تلك المحاصرة واشتدت بين الجانبين للمقاتلة ، وقع الخلاف بين أهل البلد ، فبعضهم يقول نسلمها و نستريح من العناد ، وبعضهم يقول لا نسلمها وفي تسليمها امر قبيح علينا >>[4].

لكن الموقف لم يستقر فقد استقطب الشيخ محمد بن عبد المؤمن وأهل حومة باب الجابية[2] ، الناقمين على العثمانيين ، وانضم إليه من كان يرى أن مصلحته في مساندة الحفصيين ، وقدم لهم العون شيخ قبيلة اولاد صولة (صاولة) الساعين لاسترجاع نفوذهم نواحي قسنطينة واقليم الزيبان[5].

فنظرا لتدهور الأمور وازدياد الفتنة بين أهل قسنطينة ، تدخل الشيخ سيدي الفكون للحد منها ، و قد أشاد بذلك "صالح العنتري" فقال << فلما كثر الكلام بينهم ، وتفاقم الأمر لديهم

---

[1] - شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 452.

[2] - صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص45.

[3] - نفسه ، ص47.

[4] – صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 45.

[5] - سعيدوني ،. الشرق الجزائري ... ، المرجع السابق ، ص 27.

قابلهم سيدي الشيخ بن الفكون واحتج عليهم بالدليل القاطع ، وأشار عليهم بالرأي المصيب النافع ، قائلا: هؤلاء الترك قدموا من حضرة السلطان العثماني ، وهم من أبناء جنسه وتحت حكمه ، إذ لا يليق بنا مقاتلتهم ، ولا يسعنا منعهم ، وربما تلحقنا الضرورة من السلطان المذكور من أجل مقاتلتنا لهم ، ومنعنا من دخولهم >>[1].

كما تحدث العثمانيين مع أهل قسنطينة ، وهو ما أشار إليه "صالح العنتري" أيضا بقوله << هذا الوقت دخلوا(كذا) الترك إلى قسنطينة وتكلموا مع ناسها ، قائلين نحن كنا قدنا من حضرة الدولة العثمانية إلى الجزائر ففتحناها ومهدنا أوطانها وحكمنا جار فيهم بالعدل والكمال وما ناخذوا من وطنها إلا الشيء الحلال ، الذي هو مثل الزكاة كذا الواجب إخراجه من الأموال ، والنعم والمزروعات ، على نمط الشريعة والطريقة المستقيمة القويمة ، ثم قدمنا إلى قسنطينة كذلك يكون حكمنا بالعدل كما هو هناك، ونجعل الحاكم الذي تختارونه منكم ، يكون كبيرا عليكم ، ومتولي أمركم ، فحينئذ تأنسوا أهل البلاد بكلامهم واطمأنوا لجانبهم ، ورجعوا حاكم كذا من البلدية ، الذين لهم في ذلك الوظيفة أهلية>>[2].

رغم انقياد بعض العائلات القسنطينة ورضائها بالدخول العثماني لقسنطينة ، إلا أن معارضة أسرة ابن عبد المومن حدت من نفوذ العثمانين في المدينة ، وبقي حكمهم فيها غير مباشر ، فلجأت إلى وضع الحاميات على أسوارها .

وبعدما استقر العثمانيين بسطح المنصورة وبنوا قصبة للجند وأظهروا العدل ، وصالحوا الشيخ عبد المؤمن لمدة ثلاث سنوات ، لكنهم تحيلوا عليه بدعوة أنه كان شيخ البلد ، ونصبوا له حبائل المكر والخداع ، إلى أن تمكنوا منه بعدما قبل ضيافتهم بقصبة المنصورة ، فقتلوه وسلخوا جلده وبعثوا به إلى الجزائر ودفنت جثته بمسجده المعروف به اليوم[3] ،

---

[1] - العنتري ، نفسه ، ص46.

[2] - صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 45.

[3] – ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 124.

وكان ذلك سنة (980 هـ – 1572 م) [1]، وبموته انتهت رياسة بني عبد المومن لقسنطينة والتي كانت لهم طوال العهد الحفصي [2].

لكن بعد موته لم تسلم الحاميات العثمانية من الثورات والطرد والرفض ، فتوالت عليهم الهجمات من طرف السكان ، أهمها ثورة 1572م ضد رمضان تشولاق وتجددت في العام الموالي فاستنجد تشولاق باي بالذواودة لإخمادها ، ثم ثار الحنانشة في شرق البايلك وأولاد مقران في غربه[3] ، وبعدا ثار أتباع سيدي عبد المومن بدعوى الانتقام ، ففي يوم 12 أكتوبر 1642م ، ثار أولاد عبد المومن وحملوا السلاح ضد الجنود العثمانيين الانكشاريين الذين أهانوهم واعتدوا عليهم ، ودامت المعارك لمدة يومين كاملين في شوارع المدينة ، فقتل خلق كثير من الجانبين خاصة من أولاد عبد المومن ، الذين قتل منهم حوالي 24 شخصا[4]، فاعتصموا بحيهم في الجابية ، وحاصرهم الجند العثماني ، وعل إثر ذلك تدخل شيخ البلد وآغا النوبة من أجل فك الحصار [5] ، وتم الاتفاق على أن ينسحب الجنود الأتراك إلى ثكناتهم ويعاقب الجناة من الجانبين [6].

وبعدما تم إخماد ثورة عبد المومن بسنوات ، تم التسليم النهائي لقسنطينة ، عام 1647م ، بعدما اتفق الشيخ الفقون مع أعيان المدينة على تحرير رسالة يطالبون فيها بتعيين حاكم عليهم ، وتم اختيار فرحات بن مراد باي بايا على قسنطينة الذي أعاد سلطة الترك فيها[7].

فيها[7].

---

[1] - شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 425.

[2] - ابن المبارك ، نفسه ، ص14.

[3] - عبد الرزاق قشوان ، المرجع السابق ، ص 46.

[4] - صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 45.

[5] - حسين بوخلوة ، المرجع السابق ، ص 14.

[6] – فوزية لزغم ، المرجع السابق ، ص 200.

[7] - Vayssettes , opcit , p 82 .

أما فيما يخص أسرة عبد المومن ، فمن بقي بالمدينة من الأسرة فقد حظي باحترام العثمانيين ، وابقوا على امتيازاتهم ومكانتهم الدينية ، حيث ابقوا لها منصب امارة ركب الحج واستمرت لزمن طويل اين تولى محمد حفيد الشيخ عبد المؤمن ركب الحج في عهد عبد الكريم الفقون الابن أي بعد حوالي قرن من الوجود العثماني في قسنطينة[1].

وهذا دليل على أن هذا الانقسام الذي حدث بين سكان قسنطينة، كان مجرد تنافس بين العائلات من أجل المجد والجاه والثروة ، ولم يبلغ هذا التنافس حد التنافر أو التحارب ، وما أكده هو وصف ابن الفقون لأحد أحفاد عبد المومن حيث قال "حبيبنا محمد ، حفيد الشيخ عبد المؤمن "[2].

ثانيا : أسرة ابن الفقون.

1 – أصل الأسرة:

تعتبر أسرة ابن الفقون من الأسر ذات التاريخ العريق[3] ، وهي من البيوتات * العلمية العديدة في مدينة قسنطينة[4]، وذلك منذ العهد الحفصي ، وهي أسرة شهيرة توارث أبناءها العلم والمجد قرونا [5].

[1] - شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 425.

[2] - عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 102.

3- عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 7.

* هي أسر متنفذة ، تمكنت من البروز في مجال واحد أو في عدة مجالات ، وحازت المجد والتعظيم ، ولن يتأتى لها ذلك إلا بالعلم والولاية والثروة والشجاعة ، ينظر : فوزية لزغم ، المرجع السابق ، ص 27.

4- يمينة سعودي ، المرجع السابق ، ص 58.

5- نصر الدين سعيدوني ، المهدي بوعبدلي ، الجزائر في التاريخ في العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م ، ص154.

وتنطق الفقون (ELFEGOUN) ، بفتح الفاء وضم الكاف المشددة[1] ، وقد وردت في بعض الكتابات التاريخية بمصطلح الفكون أو الفـقون ، ويعود أصل الأسرة إلى البيت العربي ، أي أنها من قبيلة تميم* العربية[2] ، وهذا ما اتفق عليه المؤرخين ، وكذلك أفراد هذه الأسرة، لكن أحد المؤرخين وهو عبد القادر الراشدي* في كتابه عقد اللألي المستضيئة لنفي ظلام التلبيس المتوفى عام (149هـ/1780م) ، فهو ينفي نسب الأسرة إلى البيت الشريف ، والنسبة التميمية ، ويرجع نسبها إلى قرية فكونة بالأوراس[3] ، وبذلك ينسبها للأصول البربرية ، وهذا ما رفضه أبناء هذه الأسرة بشدة ، وأن انتسابهم إلى قرية فكونة كان بسبب استقرار أحد أجدادهم بهذه القرية ، فحسب روايتهم وبعدما جاء أربعة إخوة من الجزيرة العربية ، استقروا بالمغرب الأقصى ، أولهم هو عبد الرحمن الذي استقر بقرية فكونة بالأوراس ، والثاني هو محي الدين بعين الصفراء ، ويقال أن البيض سيدي الشيخ سميت على اسمه ، أما ثالثهم فهو محمد وقد استقر بقسنطينة ، وتوفي رابعهم وهو الرشيد بعد وصوله إلى المنطقة ، في حين انتقل الشيخ عبد الرحمن من فكونة إلى قسنطينة ، وبها عرف الفقون[4]، التي يعود أجدادها الأقدمون إلى القرن الخامس هجري ، وهم مدفنون بها[5].

1- لزغم ، نفسه ، ص 48.

* بنوا تميم أصلهم من أديم منطقة نجد بالحجاز ، نزحوا إلى بلاد المغرب مع الفتح الإسلامي واستقروا بنواحي بلزمة ، واستقر بعضهم بنواحي قسنطينة ، ينظر : السعدية قمرة ، الأسر النافذة ودورها الثقافي و الاجتماعي ببايلك الشرق الجزائري في العهد العثماني 1815-1830م (أسرتي الفكون والمقراني أنموذجا)، مذكرة ماستير ، قسم التاريخ ، جامعة المسيلة ، 2018م ، ص 45.

2- الفكون ، نفسه ، ص 7.

* تولى القضاء بمراكش ، وحتى رواق المغاربة بالأزهر ، ينظر ، شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 37.

3- معاشي ، المرجع السابق ، ص 107.

4 - نفسه ، ص109.

5- الفكون ، المصدر السابق ، ص 8.

وبهذا فإن عائلة الفقون قديمة في التاريخ ، فكان بيتهم بيت علم وقيادة روحية في قسنطينة ، منذ أوائل القرن (7هـ) إلى أواخر العهد العثماني[1] ، وفي هذا الإطار يقدم لنا "الحسين الورثيلاني" وصفا عن عائلة الفقون ، قائلا <<...وكذلك أعيان الحضرة السلطانية والمملكة الشرقية ، وكذا أئمة المساجد الأوائل المحب الشيخ الفاضل الكامل سيدي بدر الدين ابن سيدي عبد الكريم الفقون ، أمير الركب الحجازي*...>>[2].

2 - مكانة أسرة ابن الفقون .

2 – 1 .مكانتها الثقافية :

اشتهرت أسرة ابن الفقون أولا عن طريق مكانتها العلمية والثقافية ، بحيث أنها كانت أسرة أدبية في العهد الحفصي ، قبل أن تقحم في السياسة في ظل الحكم العثماني ، بعد استلائها على منصب شيخ الاسلام[3]، وبهذا فقد كانت تملك نخبة مثقفة من أبناء الأسرة الذين ورثوا ثقافتهم ومكانتهم من الجد إلى الحفيد ، وهذا ما قد اشار إليه "عبد الرحمن الجيلالي "بقوله <<أسرة واسعة الشهرة ، أسرة علوم وأدب ورئاسة ودين ، توارث أبناءها المجد منذ قرون ...>>[4].

وليس "الجيلالي" فقط من أكد المكانة الثقافية التي تربعت عليها العائلة ، فحتى المقري نجده يصفها في كتابه نفح الطيب " قائلا << عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها ،

41 - سعيدوني ، البوعبدلي ، المرجع السابق ، ص693.

*أي ولاية الركب الحجازي ، كانت عادة قديمة ولعلها تعود إلى العصر الموحدي ، ينظر : ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 125.

2- الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص 693.

3- نعيمة بوكرديمي ، البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي وإسهامها القفافي ، مجلة العصور الجديدة ، عدد 18 ، قسنطينة ، 1436هـ-2015م ، ص 48.

4- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 149.

سلالة العلماء الأكابر، ووارث المجد كابر عن كابر، المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله >>[1] .

انطلاقا من هذين القولين تتضح لنا المكانة المرموقة التي وصلت اليها الأسرة في الجانب الثقافي ، وما يؤكد هذا الطرح هو الإنتاج الثقافي الذي تركته هذه العائلة ، وقد ترجمته المؤلفات الكثيرة ، التي جمعت عدة جوانب ، فبيت الفقون قد أنجب العديد من العلماء منذ العهد الحفصي ، ، وهذا ما أكده مترجم وحفيد الأسرة " عبد الكريم الفقون "أن بعض أجداده قد قرأ في تونس ، وتولى فيها التدريس والخطابة والإمامة ، ولكن ذلك أيام تبعية قسنطينة للحفصيين ، وهذا ما أشار إليه في حديثه عن جده الشيخ أبي زكريا يحي الفكون قائلا <<...وانتقل الجد لتونس...فصاهر الشيخ الزنديوي ، و استخلفه في إمامة جامعها الأعظم جامع الزيتونة ، ثم استقل بالإمامة ...>>[2].

واشتهر منهم أبو علي حسن بن علي بن عمر الفقون ، المعروف بشاعر المغرب الأوسط في وقته ، وذكره " برنشفيك روبار " بقوله <<...في عهد أبي زكريا برز الشاعر أبو الحسن بن الفكون الذي ينتمي إلى عائلة ماجدة من قسنطينة...>>[3].

كما اشتهرت الأسرة في العهد العثماني بنخبة من العلماء والأدباء ، وكان على رأسهم الشيخ أبو زكريا يحي بن محمد الفكون المذكور سلفا ، ونجد الشيخ قاسم بن يحي بن محمد بن الفكون من أشهر علماء هذا البيت ، وقدأشاد به "عبد الكريم الفكون " بقوله <<...كان

1-محمد قويسم ، فقهاء مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (625-981هـ/1227-1573م) ، مجلة معارف للبحوث والدراسات العلمية ، العدد7 ، جامعة 20 اوت 1955م، سكيكدة ، ص166.

2- الفكون ، المصدر السابق ، ص43.

3 - روبار برنشفيك ، إفريقية ... ، ج 2 ، ص 426.

العم قاسم ممن فاق عصره في علم المعقول ، وممن تصدى للتفسي في زمن مشيخة عصره ، ناهيك بهم مشيخة ابن الوزان ، وحضره وأثنى عليه...>>[1] .

واشتهر من الأسرة أيضا الشيخ أبو محمد عبد الكريم الفكون (الجد) (ت988هـ-1580م) ، الذي جمع بين العلم والتصوف ، كان إماما وخطيبا بالجامع الأعظم ، وهو أول من تولى هذه الوظائف من بيت الفكون في العهد العثماني ، بعدما أخمد الفتنة التي حدثت بالمدينة عام (975هـ-1567م)[2]، ويصفه حفيده في "منشور الهداية " بغزارة العلم وبأنه << كان خطيبا بليغا أحدث خطبا على غير أسلوب المتقدمين غالبها الأحداث النبوية لغزارة حفظه ، وكثرة اطلاعه عليها >> ، وأشار بأنه "ممن يرجع إلى قوله في النوازل والأحكام >>[3] ، وقد اعتمد حفيده على عدد من فتاويه في كتابة نوازله[4].

وقد اشتهر الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبد الكريم الفكون (ت1045هـ/1632م) ، والد عبد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية ، بنوازله وفتاويه ، وكان فقيها صوفيا[5] ، وورث عنه ابنه أبو محمد عبدالكريم بن محمد الفكون طريق العلم ، وخير مثال على ذلك ما خلفه من تآليف ،فهو صاحب الحظ الأوفر في الإنتاج[6]، ومن تآليفه نذكر "منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية ، ومحدد السنان في لخور الدخان ، مخطوط النوازل ، الدرر على شرح المختصر لصاحبهم عبدالكريم الفقون[7] .

---

[1] - الفكون ، نفسه ، ص ، ص : 43 ، 44 .

[2] - فوزية لزغم ، المرجع السابق ، ص 154.

[3] - الفكون ، نفسه ، ص ، ص : 47 ، 49 .

[4] - فوزية لزغم ، نفسه ، ص 154.

[5] – نفسه ، ص 157.

[6] - الدراجي بلخوص ، المرجع السابق ، ص30.

[7] - سعدالله ، شيخ الإسلام ... ، المرجع السابق ، ص 146.

إلى جانب ذلك نجد سعد الله يشير إلى مكتبة العائلة الغنية "قائلا <<...ونجد خزانة آل الفقون بقسنطينة التي اشتهرت منذ أوائل القرن السادس(كذا)...>>[1] ، كما كان للعائلة 4000 مجلد[2] ، وبذلك ترك ابن الفقون مجموعة من التآليف لا يفوقه فيها كثرة إلا معاصره أحمد المقري صاحب كتاب نفح الطيب [3].

2 -2 / مكانتها الاقتصادية :

كان للعائلة مكانة خاصة في الجانب ، على غرار ما عرفت به في الجانب الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي اشتهرت به العائلة بشكل كبير ، إذ تعتبر من العائلات الغنية في قسنطينة ، فهي تعيش عيشة راضية هنيئة منذ العهد الحفصي[4]، وبهذا كانت تتمتع بامتيازات اقتصادية لا حصر لها[5] ، وازدادت بشكل واضح في العهد العثماني ، وذلك كان كان نتيجة مناصرتها لها، وارتباطها الوثيق بها ، فأصبحت لها مكانة داخل السلطة وعند الحكام العثمانيين ، ومن أهم الامتيازات التي عرفتها عائلة ابن الفقون نذكر :

- قيادة بعثة الحج ، مع الحق الكامل في اختيار أعضاء القافلة ، والاستفادة من هذه المهمة ماديا بقدر الإمكان [6].
- إعفاء جميع أملاك العائلة من الضرائب ، وكذلك الغرامات على مستوى الريف والمدينة ، كضريبة حق دخول للمدينة والخروج منها[7] .

---

[1]- عبد الرحمن ديب ، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي بوعبدلي (الحياة الثقافية في الجزائر) ، ط1 ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2013م ، ص 60.

[2]- الدراجي بلخوص ، نفسه ، ص 31.

[3] -سعدالله ، نفسه ، 50.

4- سعدالله ، شيخ الإسلام ... ، المرجع السابق ، ص 46.

5- سعودي يمينة ، المرجع السابق ، ص 58.

6- سعدالله ، تاريخ الجزائر ... ، المرجع السابق ، ص 521.

7- سعدالله ، شيخ الإسلام ... ، نفسه ، ص 46.

- تسيير أوقاف الجامع الكبير وحصولها على فائض هذه الأوقاف[1].
- وتستفيد العائلة من نيل الهدايا و العطايا وغيرها[2] .

وكان التمتع بهذه الامتيازات يصدر من باشوات الجزائر و بايات قسنطينة معا[3].

2 -3/ مكانتها السياسية :

رغم أن العائلة لم يتولى أحد من أفرادها لأي مهام سياسية رفيعة في الدولة ، إلا أنه كان لها الدور الفعال في الحياة السياسية في البايلك[4]، فمنذ دخول العثمانيين إلى قسنطينة عملوا على ربط الاتصالات بعائلة الفقون لطلب الدعم، واستجاب يحي الفقون(جد الأسرة)على طلبهم بالترحاب[5] ، وانتصر هذا الأخير لخير الدين عندما تعلرف عليه بتونس عام (1534م) ، فاستمرت الروابط بين آل الفقون والحكام العثمانيين لقرون[6] ، وبذلك تصدرت عائلة الفقون الأحداث بقسنطينة منذ أن اسند حسن أغا إلى شيخ هذه الأسرة سيدي أبي الفضل بن يحي الفقون منصب القضاء بالمدينة[7] .

ومن الأسباب التي كانت وراء اعتلاء آل الفقون لهذه المكانة ، هو تأييدها للعثمانيين[8] ، إذ أصبح لها الرأي في الأمور السياسية المتعلقة بالأمن العام والصالح العام، كما كان لها

1- سعدالله ، تاريخ الجزائر... ، نفسه ، ص521.
2- سعدالله ، شيخ الإسلام... ، نفسه ، ص 54.
3 - نفسه ، ص56.
4- سعدالله ، شيخ الإسلام ... ، المرجع السابق ، ص 54.
5- السعدية قمرة ، المرجع السابق ، ص54.
6- سعيدوني ، الشرق الجزائري ....، المرجع السابق ، ص26.
7 - نفسه ، ص 26.
8- السعدية قمرة ، نفسه ، ص27.

الحق في اختيار البايات على قسنطينة ، والمصادقة عليهم ، وبالتالي اقترحت الأسرة فرحات بايبايا على قسنطينة[1].

وبهذا كان لها الدور في الاستقرار السياسي الذي عاشته قسنطينة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجري ، السابع عشر ميلادي ، بعد تحالف صالح باي وعبد الكريم الفقون[2] ، وبحكم مكانتها أصبحت تتصرف بثقة مطلقة ، دون اعتراض لا القضاة ولا حتى حتى السلطة المحلية[3].

2 -4 . مكانتها الإجتماعية :

تنتمي أسرة الفقون إلى طبقة الحضر بمدينة قسنطينة ، وهي من العائلات الغنية غنى الأرض والتجارة والعلم والثقافة[4] ، كما يشير " ميرسيي " إلى مكانة العائلة ، بوصفه بأنها من أهم العائلات في قسنطينة ، إلى جانب عائلة عبد المومن وعائلة ابن باديس[5].

كما قدم "ابن المبارك ابن العطار" وصفا لمكانة هذه الأسرة منذ العهد الحفصي إلى زمن العثمانيين ، حيث أشار بقوله <<...وأصبحت تحتل مكانة مرموقة ، وخاصة بعد تحالفها مع العثمانيين ، وتتمتع باحترام واسع بقسنطينة...>>[6].

وازدادت مكانة هذه الأسرة خاصة بعد مصاهرتها لكبار العائلات بقسنطينة ذات المكانة والنفوذ ، كعائلة ابن باديس وعائلة ابن نعمون ، بالإضافة إلى امتلاكهم زاوية التي تحمل

1- سعدالله ، نفسه ، ص 80.

2- سعدالله ، شيخ الإسلام ... ، المرجع السابق ، ص81.

3- بلخوص الدراجي ، المرجع السابق ، ص 30.

4 - عبد الرزاق قشوان ، المرجع السابق ، ص21.

5 – MERCIER , HISTOIR DE CONSTANTIN... , opcit ,P208.

6- سعدالله ، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق ، ص 520.

اسم عائلة الفقون ، لاستقبال الفقراء والغرباء ، ولهم مدرسة باسمهم لتعليم العلم لطالبه من طلبة الجزائر من طلبة الجزائر وغيرها[1].

والأكثر من هذا أصبح للعائلة حق الحماية في منزلها أو غيره ، فكل من يحتمي بآل الفقون لا يجوز التعرض له ، بل يجد الحماية والملجأ الأمين[2] ، وهذا إن دل فهو يدل على النفوذ الروحي الذي بلغته العائلة ، ومجدها الديني والدنيوي ، خاصة في عهد عبد الكريم الفقون الحفيد[3] ، إذ أصبحت العائلة تتمتع بأموال طائلة ، وأملاك واسعة ومداخيل رسمية ودينية[4]، خاصة بعدما تولى عبد الكريم الفقون (988-1073هـ/1580-1662م) ، وظائف والده محمد الفقون (1045هـ-1635م) مباشرة بعد وفاته ، فتولى الإمامة والخطابة بالجامع الكبير البطحاء بقسنطينة وهو الحي الذي كان به بيت الشيخ الفكون[5] ، كم أسندت أسندت إليه إمارة ركب الحج سنة(1048هـ-1638م) من قبل علي باشا[6].

وقد أصدرت وثيقة التعيين في نفس السنة ، وهي على النحو التالي <<...الحمد لله ، ليعلم من يقف عل هذا الأمر الكريم ...والخاص والعام ببلد قسنطينة ... بأن الشيخ العالم القدوة التقي ... سيدي عبد الكريم الفكون ... جددنا له على مقتضى ما بيده من الأوامر ... وأذنا له بضرب الطبل ، ويتوجه بالمسلمين كما كان ، ويكون رقاس الرسول عليه الصلاة

1- الفكون ، المصدر السابق ، ص7.

2- نفسه ، ص9.

3- يمينة سعودي ، المرجع السابق ، ص58.

4 - الفكون ، نفسه ، ص 8.

5- أبو القاسم سعدالله ، شيخ الإسلام ... ، المرجع السابق ، ص 51.

6- سعدالله ، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق ، ص520.

والسلام ، لا مانعا ولا معارضا ولا مدافع ... لأنه أحق بها ويقوم بحقها ، موصى فيما سعى وقلد إليه ...>>[1].

ونلاحظ أن هذه الوثيقة قد وجهها الباشا المذكور سابقا إلى أعيان وسكان قسنطينة العامة والخاصة ، وهذا يدل على مكانة الأسرة عند الحكام العثمانيين ، وبهذا تولى الفقون الابن إمارة ركب الحجاز الجزائري القسنطيني ، وهذا ما أكده لنا " العياشي " في رحلته قائلا <<وممن لقيته في طرابلس الشيخ الفقيه المشارك النبيه ، سيدي محمد بن العلامة الفهامة الناسك الخاشع ... سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفقون الجد القسمطيني ... وهو أمير ركب الجزائر وقسمطينة ، على نهج أبيه وعادته ... محافظا على سلوك سيرة والده ... فلما توفي قام ولده هذا مقامه في ذلك...>>[2].

إلى جانب ذلك قد حاز ابن الفقون على لقب شيخ الإسلام * ، الذي كانت تتقلده عائلة ابن عبد المومن في زمن الحفصيين[3] ، وقد اختلف المؤرخين حول تاريخ انتقال مشيخة الإسلام من عائلة ابن عبد المومن إلى عائلة الفقون رسميا ، حيث رجحها " فايسيت " إلى سنة 1567 أو 1568م[4] ، أما ابن العطار فأبعدها إلى سنة 1572م ، أي ثلاث سنوات من ثورة ابن عبد المومن التي بدأت منذ سنة 1568م[5].

---

[1] -ERENST MERCIER , CANSTANTINE AU XV.LE SIECLE (EIEVATION DE IA FAMILLE EI FEGOUN) , TYPOGRAPFIE ,ARNOT , AD BR AHAM , SUCCESSEUR , 1879 , p18.

2- أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ، ص 514.

* معناه رئيس العلماء ، ويعين في منصبه بمرسوم سلطاني ، وحتى القرن ال16م ، كان يختار من بين المدرسين الذين اشتهروا بعلمهم ، أما مهامه فكانت تتعلق بإصدار الفتاوى حول أي مشكلة في إطار الشريعة ، ولم يكن يتلقى أي أجر عن هذه الفتاولى ، ينظر : خليل أينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار ، ص....

3- سعيدوني ، البوعبدلي ، المرجع السابق ، ص 154.

[4]-mercier , histoir de... , ibid , p13.

5 - ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص58.

وبهذا زادت مكانة الأسرة علميا واجتماعيا وثقافيا ودينيا وسياسيا في قسنطينة ، وحتى بين البلدان الإسلامية لتصبح من أشهر الأسر في العالم العربي خاصة بعد منحها قيادة الركب ، وخاصة أن قسنطينة من أهم كانت المناطق التي تمر بها قافلة الحج [1] ، باعتبارها ملتقى طرق لمرور قوافل الحج ، وبذلك احتلت الأسرة مكانة مرموقة بين الأسر العلمية النافذة في قسنطينة علما وصلاحا وشهرة جيل بعد جيل ، حيث ظلت تتوارث مكانتها ووظائفها ، من إمامة وخطابة الجامع الكبير ، وإمارة ركب الحج ، بالإضافة إلى مشيخة الإسلام إلى الاحتلال الفرنسي ، حيث ألغت السلطات الفرنسية ذلك[2] .

3 . موقف عائلة ابن الفقون من الوجود العثماني :

كانت أسرة ابن الفقون تتمتع باحترام واسع في قسنطينة لتحالفها منذ البداية مع العثمانيين[3]، وكان ذلك منذ عهد يحي الفقون جد الأسرة الذي قدم ولائه لخير الدين منذ عام 1522م ، وانتصر له في تونس ، وتوفي فيها عام 1534م[4]، واستمر ولائها للعثمانيين إلى قرون ، وإلى أجيال ، إلى أن أعطوها المكانة الأولى بالمدينة بمنحها منصب شيخ الإسلام للإبن الثاني للشيخ يحي عبد الكريم الفقون ، بعد ان أزيح الشيخ السابق سيدي عبد المؤمن من منصبه[5].

فبعدما توفي الشيخ يحي الفقون ، قد سلك ابنه عبدالكريم الفقون الجد طريق أبيه وقدم ولائه للعثمانيين ، حيث كان على رأس قائمة الوفد الذي أرسله أهل قسنطينة الى الباشا في مدينة الجزائر سنة (975هـ-1567م)[6] ، وذلك ليشرح له أوضاع المدينة المتدهورة ، وكان

1 – سعيدوني ، ورقات جزائرية ... ، المرجع السابق ، ص109.

2 - سعدالله ، شيخ الإسلام ... ، المرجع السابق ، ص 47.

3 - سعدالله ، تاريخ الجزائر.... ، المرجع السابق ، ص 520.

4 - سعيدوني ، الشرق الجزائري ... ، المرجع السابق ، ص26.

5 - عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 46 .

6 - نفسه ، ص 48.

وكان الى جانبه المفتي عبداللطيف مصباح*، وأخرون، ولكن حصل ما أوجب فراره مع زميله ثم أعيد إلى العاصمة وسجن ثم رضيت عليه الدولة ، وأعادته إلى قسنطينة مكرما[1] ، وفي نفس السنة عين رمضان تشولاق بايا على المدينة والبايلك[2].

لكن بعدما وقعت فتنة في البلاد ، والتي قادتها أسرة ابن عبد المؤمن الرافضة للعثمانيين المؤيدة والموالية للحفصيين والتي جاهرت بعدائها لهم ، هذا ما جعل أسرة الفقون تتدخل في نفس الوقت لتعلن ولائها للعثمانيين بشكل رسمي، هذا ما أدى إلى حدوث انقسام بين سكان قسنطينة إلى ما بين مؤيد ومعارض[3].

وبذلك تولت عائلة ابن الفقون حملة بيعة سكان قسنطينة منذ سنة 975هـ/1567م ، وبداية من هذه زادت مكانة أسرة الفقون لدى الحكام العثمانين[4]، وذلك نظرا للموقف الذي اتخذته هذه العائلة ، وهذا ما أشار إليه " العنتري " قائلا <<...فلما كثر الكلام بينهم ، وتفاقم الامر لديهم ، قابلهم سيدي الشيخ بن الفقون واحتج عليهم بالدليل القاطع وأشار اليهم بالرأي المصيب النافع ، "قائلا ...هؤلاء الترك قدموا من حضرة السلطان العثماني ، وهم من أبناء جنسه وتحت حكمه ، اذ لا يليق بنا مقاتلتهم ، ولا يسعنا منعهم ...>>[5].

وبذلك لعبت أسرة ابن الفقون دورها كوسيط بين العثمانيين والمعارضين من أبناء بلدهم، واستمروا بذلك بذلك حتى تمكنوا منهم ، وبهذا قد اشار المؤرخ ابن المبارك ابن العطار في كتابه بلد قسنطينة ، عن الدور الذي لعبته أسرة الفقون كوسيط بين العثمانيين ، والعائلات

*هو الفقيه أبو محمد عبداللطيف المسبح (المصبح) المرادسي نسبا ، كان مفتيا ومدرسا في الفقه ، وله شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن بن صغير ، كان ضمن الوفد القسنطيني المرسل إلى الباشا إلى جانب عبد الكريم الفكون الجد ، توفي عام 980هـ-1572م ، ينظر : عبد الكريم الفكون ، نفسه ، ص 46.

[1]- سعدالله ، نفسه ، ص 520.

[2] - صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 31.

[3]- ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص ، ص : 49 ، 50.

[4] - الفكون ، المصدر السابق ، ص249.

[5] - ابن المبارك ، نفسه ، ص49.

الرافضة لهم بقوله <<...إلا أن تدخل بعض افراد قسنطينة المرموقة الجانب ، وقد حملت عائلة ابن الفقون الشهيرة على عاتقها هذه المسؤولية التاريخية ، محرزة بذلك قصب السبق والتفوق على عائلات اخرى تشاركها مرتبة الشرف والوجاهة ، وتتقاسم وإياها صدارة القيادة والتأثير في شتى مجالات الحياة>>[1].

فكان لتدخل كبير هذه الأسرة الشيخ الفقيه الجليل عبد الكريما لفقون دور بالغ الخطورة والأهمية ، تسبب في إخماد دور بعض العائلات على رأسها عائلة ابن عبد المؤمن ، التي كانت دائمة الولاء ومرموقة الجانب عند بني حفص[2] ، واستمرت أسرة الفقون في مهمتها كدور الوسيط بين الأهالي والوافدين من زمن يحي الفقون جد الأسرة إلى عهد عبد الكريم الفقون الحفيد صاحب كتاب منشور الهداية المتوفي عام (1073هـ- 1663م)[3]، صاحب الفضل الكبير في اقناع العامة والخاصة بقبول الوجود العثماني باسم الدين وباسم الخلافة[4].

ونظرا لهذا الدور الذي قام به الشيخ الفقون ، قد كتب باشا الجزائر الى الشيخ الفقون خصوصا والى ناس قسنطينة عموما قائلا<<الحمدلله ، الى مقام العالم المشهور ، الشيخ الصبور ، معدن الفضل المصون ، سيدي الشيخ ابن الفقون ، أما بعد السلام عليكم ، والسؤال الكثير عنكم ... فقد بلغنا انك سرت الى ناس قسنطينة بالتدبير المفيد ، والرأي الصائب الرشيد ، فكان في ذلك حقن دمائهم ، وزوال الخلاف ... فجزاك الله بأحسن جزاء ،

1 – ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 46 .

2 - ابن المبارك ابن العطار ، المصدر السابق ، ص 49.

3- عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 249.

4 - ابن المبارك ، نفسه ، ص 49.

وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا من كونك تسعى في الخير والصلاح ، وترشد العباد للفلاح ...>> ، كتب بأمر الباشا بالجزائر[1].

أما في رسالته إلى أهل قسنطينة عامة ، فقد نصحهم على اتباع الشيخ الفقون فقال<<... وعليكم باتباع سيدي الشيخ ابن الفقون ، و الانقياد إلى رأيه المصون ...>> ، كتب بأمر الباشا بالجزائر[2].

وبذلك فكانت دعوة ابن الفقون قد لقيت صداها والاستجابة لها لما آلت إليه الأوضاع في هذه المنطقة ، والسبب الذي جعل العثمانيين يتقربون من أسرة الفكون دون غيرها من الأسر الشهيرة ، ربما يعود إلى الأملاك الواسعة لأسرة الفقون بالفحص الأبيض (الحامة) على مشارف قسنطينة[3] ، وجعل زعيمها يحي بن محمد يقوي علاقته بالعثمانيين المرابطين قرب المنطقة بعدما رأى فيهم المنفذ الوحيد لإنقاذ البلاد من التدهور الذي عرفته الدولة الحفصية أنذاك[4] .

وبذلك قربت الدولة العثمانية أسرة الفكون إليها ووطدت علاقتها بمنحها امتيازات ومكانة خاصة في مختلف المجالات ، إلا اننا لا نستبعد انتهاج العثمانيين لسياسة فرق تسد[5]، التي طبعت حكمها في مختلف الولايات العربية وبين الأسر القسنطينة ، فقربوا أسرة الفقون لضرب أسرة ابن عبد المؤمن الناصرة للدولة الحفصية[6].

---

[1] - صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 46 .

[2] - صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص ، ص : 46 ، 47 .

[3] - عبد الرزاق قشوان ، المرجع السابق ، ص 56.

[4] - معاشي ، الأسر المحلية ... ، المرجع السابق ، ص

[5] - شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 452.

[6] - نفسه ، ص455.

وظهر هذا التقارب بين العثمانيين وأسرة الفقون ، منذ عهد خير الدين بربروس عام 1522م ، بعدما وضع هذا الأخير حامية على قسنطينة مكونة من 600 جندي [1]، وقائد الحامية هو يوسف باشا ، الذي حثه خير الدين على المعاملة الحسنة مع أهل المدينة ،في ظل الفتنة الواقعة بالمدينة ، لذا ربط القائد يوسف علاقة جيدة مع الشيخ الفكون الجد ، الذي مكنه من الاتصال والتقرب من العائلات القسنطينية الأخرى ذات القوة والنفوذ ، هذا التقارب جعل الفكون الجد يقف إلى جانب خير الدين بربروس بعد طرده من تونس عقب استنجاد الحسن الحفصي بشارلكان عام 1535م ، في نفس الوقت رفض سكان قسنطينة دخول خير الدين ، فتدخل ابن الفكون والقائد يوسف وأقنعوا الجيش بالتمركز خارج المدينة[2].

كما ساندت أسرة الفقون يوسف باشا ، في تصديه لثورة أحمد ابن الصخري بن بوعكاز المنتشرة في بايلك الشرق ، وتمكن من قتل حوالي 25 فردا من الأتراك ، وهزم القوات العثمانية عام 1638م ، فلم يجد يوسف باشا منفذا لكسر شوكة ابن الصخري إلا طلب المساعدة من عبد الكريم الفقون ليتمكن من الدخول إلى قسنطينة ، فاستجاب له عبد الكريم الفقون، وتمكن يوسف باش من طرد ابن الصخري إلى الجنوب عام 1642م ، وعاد إلى الجزائر [3].

[1] - شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 452.

[2] - حسين بوخلوة ، المرجع السابق ، ص 12.

[3] - نفسه ، ص 22.

خـــــــاتمة

ما يمكن أن أقدمه في ختام هذا الموضوع المهم والشيق أنني حاولت قدر المستطاع أن يجد القارئ في هذه الدراسة ما يهمه من معلومات مفيدة من خلال النتائج التي توصلت إليها بعد دراستي لموضوع القوى المحلية في بايلك الشرق الجزائري وموقفها من الوجود العثماني (أسرتي الفكون وعبد المومن أنموذجا) وهي كالتالي :

- أن قسنطينة عاصمة بايلك الشرق شاسعة المساحة ، وتتمتع بموقع استراتيجي مهم ، مما أكسبها مكانة خاصة وجعلها موضوعا دسما للدراسات العلمية والأكاديمية خصوصا في العهد العثماني، وما ميزها من أوضاع سياسية واجتماعية ، جعلتها تنفرد عن باقي الأقاليم الأخرى بالجزائر .
- إن الفراغ السياسي الذي شهدته قسنطينة أواخر العهد الحفصي كان نتيجة ضعف السلطة المركزية ، مما سمح بنمو ظاهرة القوى المحلية ، متباينة الأصول ذات النفوذ الواسع والمكانة المرموقة ، ما صعب المهمة على العثمانيين في بسط نفوذهم على قسنطينة .
- كما شكل بايلك الشرق بحوزته مجموعة من الأسر المحلية الكبرى التي تتمتع بالجاه والسلطة والنفوذ والمال والعلم ، ما جعلني أحصر دراستي في نموذجين من أهم و أبرز الأسر الكبرى العريقة ، التي مثلت بايلك الشرق أنذاك (أسرتي الفكون و عبد المومن) نظرا للدور الكبير الذي لعبته الأسرتين في تسيير وتغيير الأحداث في المنطقة .
- كانت أسرة الفكون من الأسر المحلية الكبيرة والنافذة التي قدمت خدمات ومساهمات متعددة للمجتمع من خلال الوظائف التي مارستها من إمامة وخطابة وإمارة ركب الحج ، ولا ننسى أنها كانت تحمل لقب شيخ الإسلام لسنين طويلة ، ليس هذا فحسب بل اعتنت بالتعليم من خلال بناء الزوايا ، فكانت لهم زاوية خاصة بهم قدموا من خلالها مساهمات كبيرة في الحياة الثقافية والاجتماعية ، إضافة إلى علاقتهم الجيدة بالسلطة

العثمانية ، وهذا ما يوضح لنا بداية السيطرة والنفوذ الكبير لأسرة آل فكون واستحواذهم على الامتيازات الدينية والاجتماعية في المجتمع القسنطيني .

- أما أسرة عبد المومن فهي من الأسر المرابطية الشريفة ، وهي أسرة تأسست على العامل الديني في أول أمرها ، فقد كانت من الأسر النافذة خاصة في العهد الحفصي ، وامتلكت مناصب دينية اجتماعية ،ما جعلها تتمتع بمكانة مرموقة عند سلاطين بني حفص .
- كما أن موقف أسرة عبد المومن من العثمانيين كان قائما على الرفض ، وكانت السبب المباشر في تأخير الوجود العثماني في قسنطينة .
- سياسة العثمانيين في استمالة القوى الدينية خاصة أسرة الفكون ، وجعلهم واسطة بينهم وبين السكان ، و بذلك استطاعوا تهدئة وتهيأت البلاد وجعلها قابلة للنفوذ العثماني ، واعتمادها على سياسة فرق تسد أي ضرب أسرة بأسرة .

إذن لقد ساهمت القوى المحلية في بايلك الشرق الجزائري إبان العهد العثماني (أسرة الفكون وعبد المومن أنموذجا) بشكل كبير في مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية مما زادها مكانة كبيرة ونفوذا واسعا من أقوى وأكبر الأسر انذاك.

الملاحـــــق

ملحق رقم 01: مخطط مدينة قسنطينة خلال الفترة الرومانية.

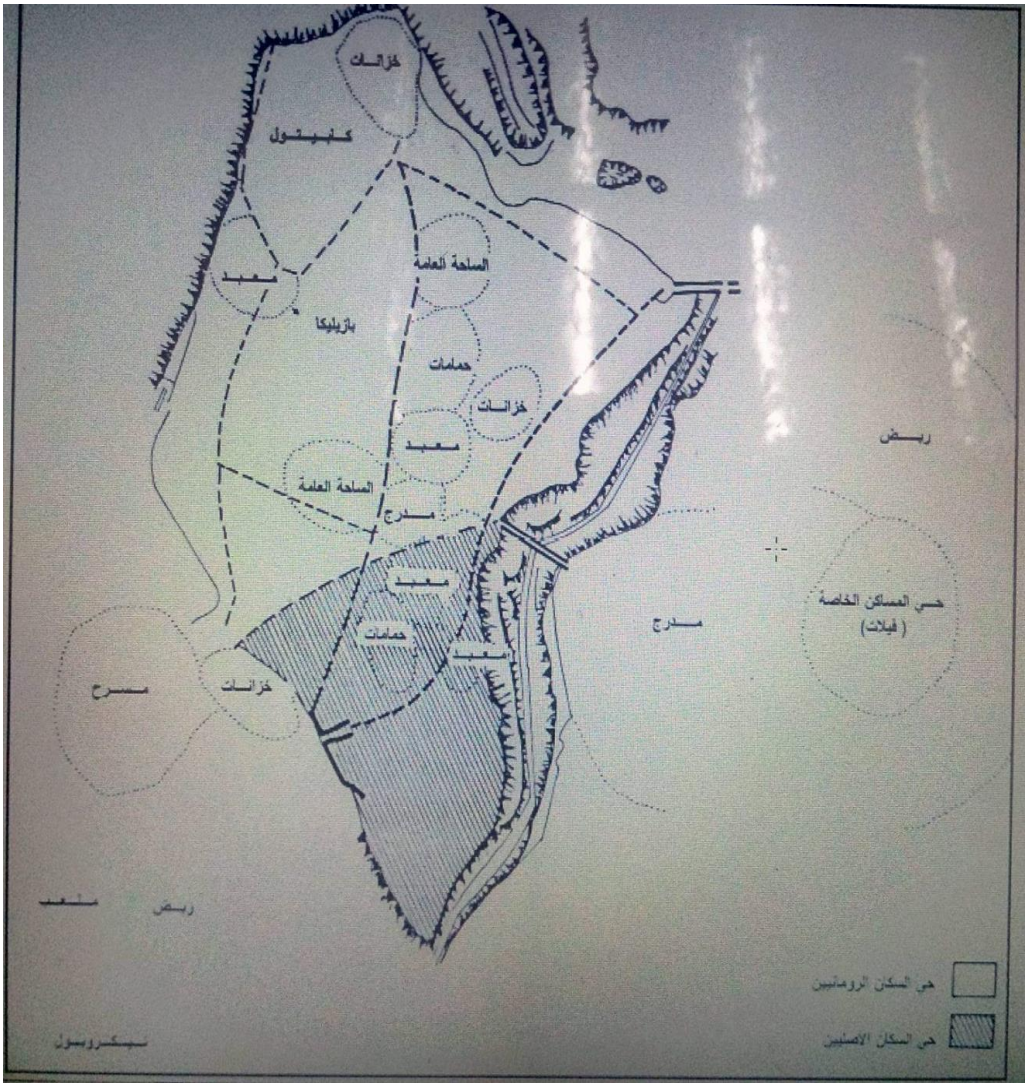

- دحدوح، **المرجع السابق**، ص827.

ملحق رقم 02: مخطط قسنطينة خلال العهد الحفصي.

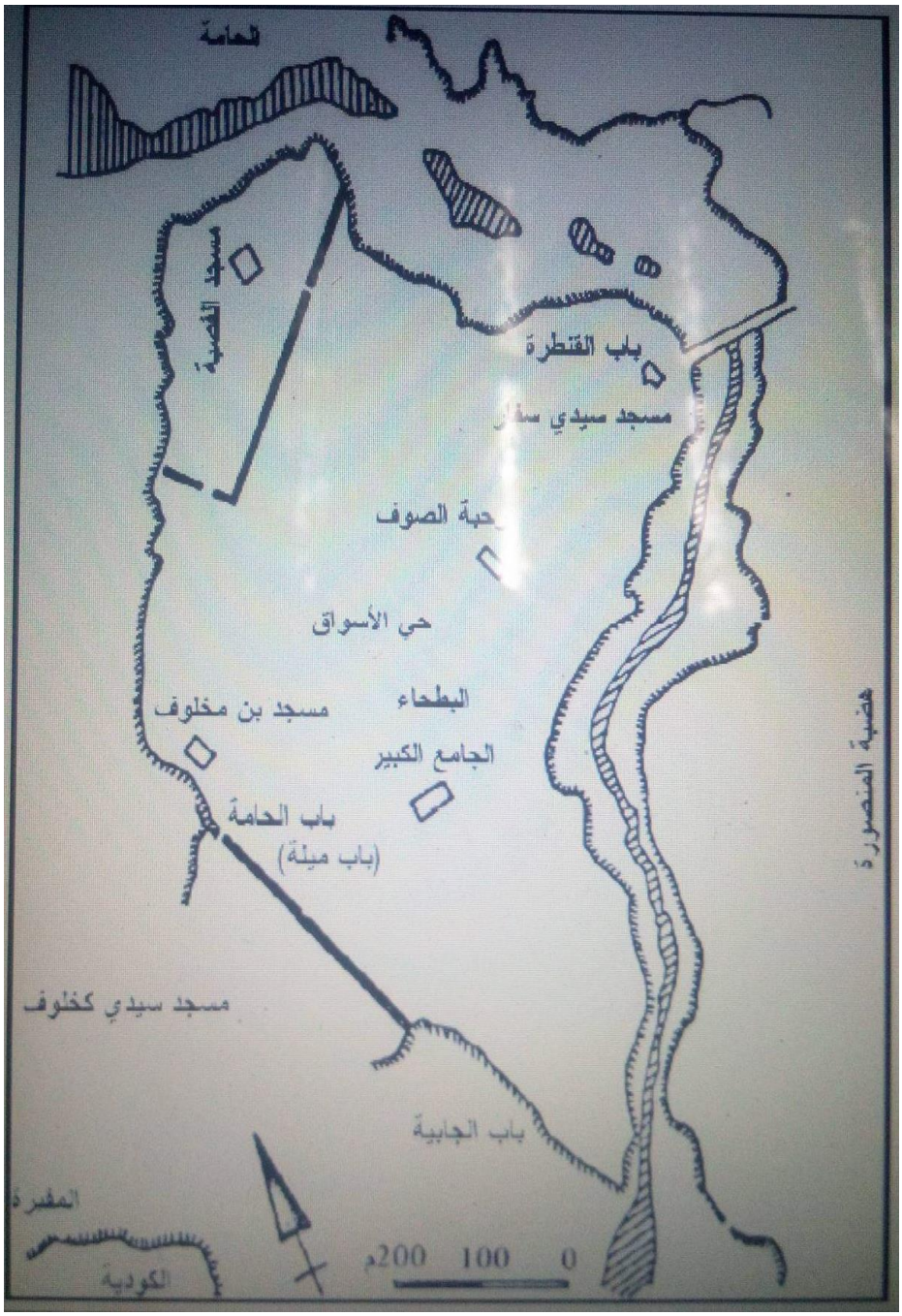

– برنفشك روبار، **المرجع السابق**، ص80.

ملحق رقم03: خريطة الجزائر في العهد العثماني.

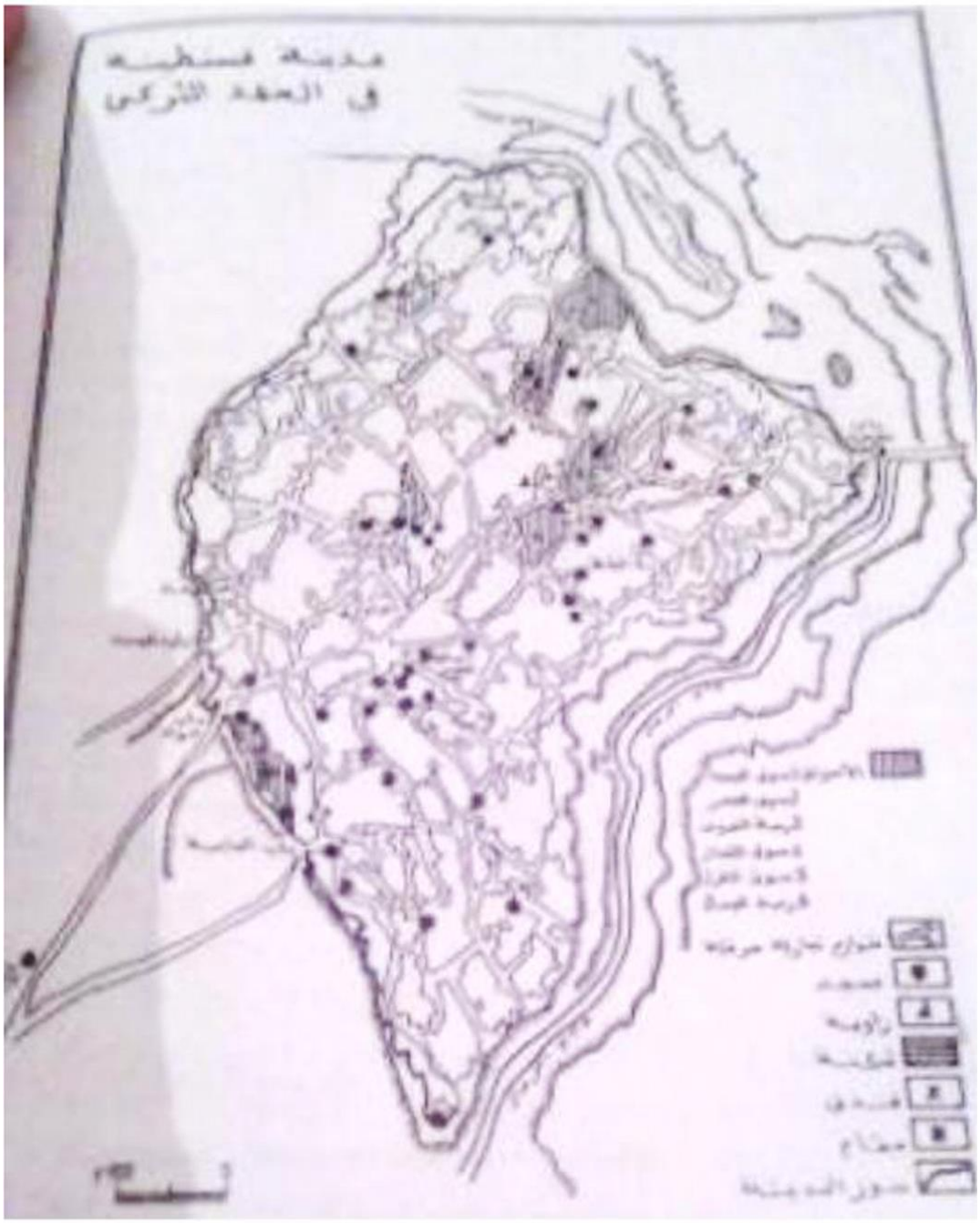

تا

– محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 84.

ملحق رقم 04: شجرة نسب أسرة الفكون.

– جميلة معاشي، المرجع السابق، ص249.

ملحق رقم 05: محراب زاوية سيدي عبد المومن

– دحدوح، المرجع السابق، ص911.

ملحق رقم 06: صورة مدخل زاوية سيدي عبد المومن

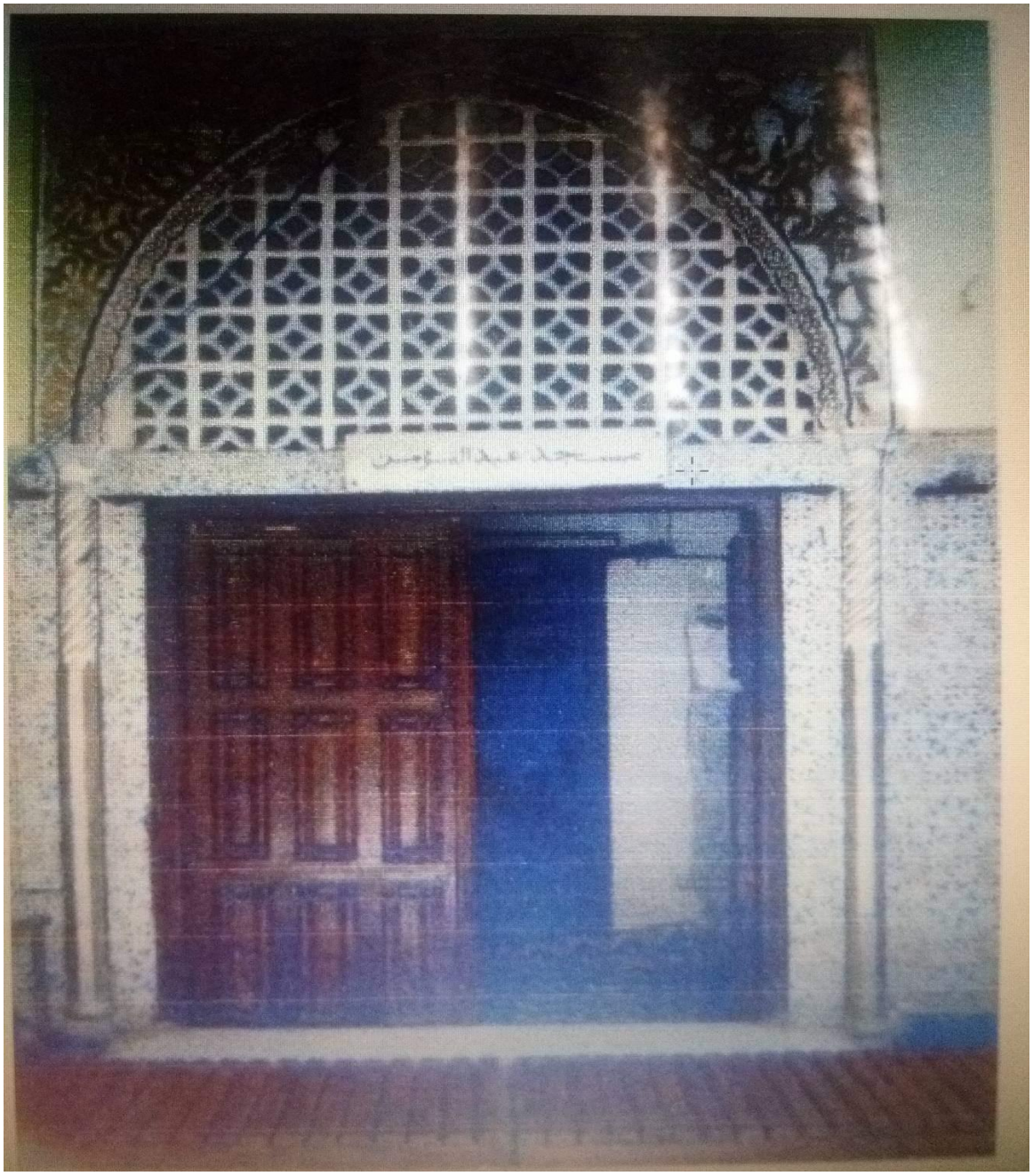

.

- محمد قويسم، المرجع السابق، ص452.

ملحق رقم 07: اللوحة التأسيسية لزاوية سيد عبد المومن:

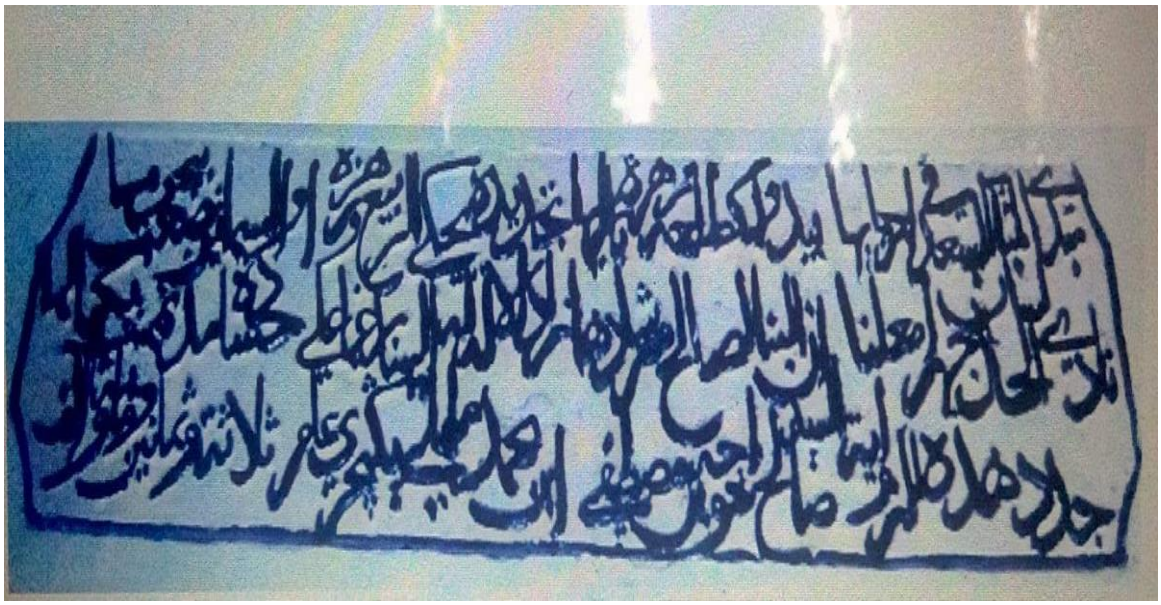

– دحدوح، **المرجع السابق**، ص 909.

ملحق رقم 08: نسخة من رسالة باشا الجزائر لابن الفكون:

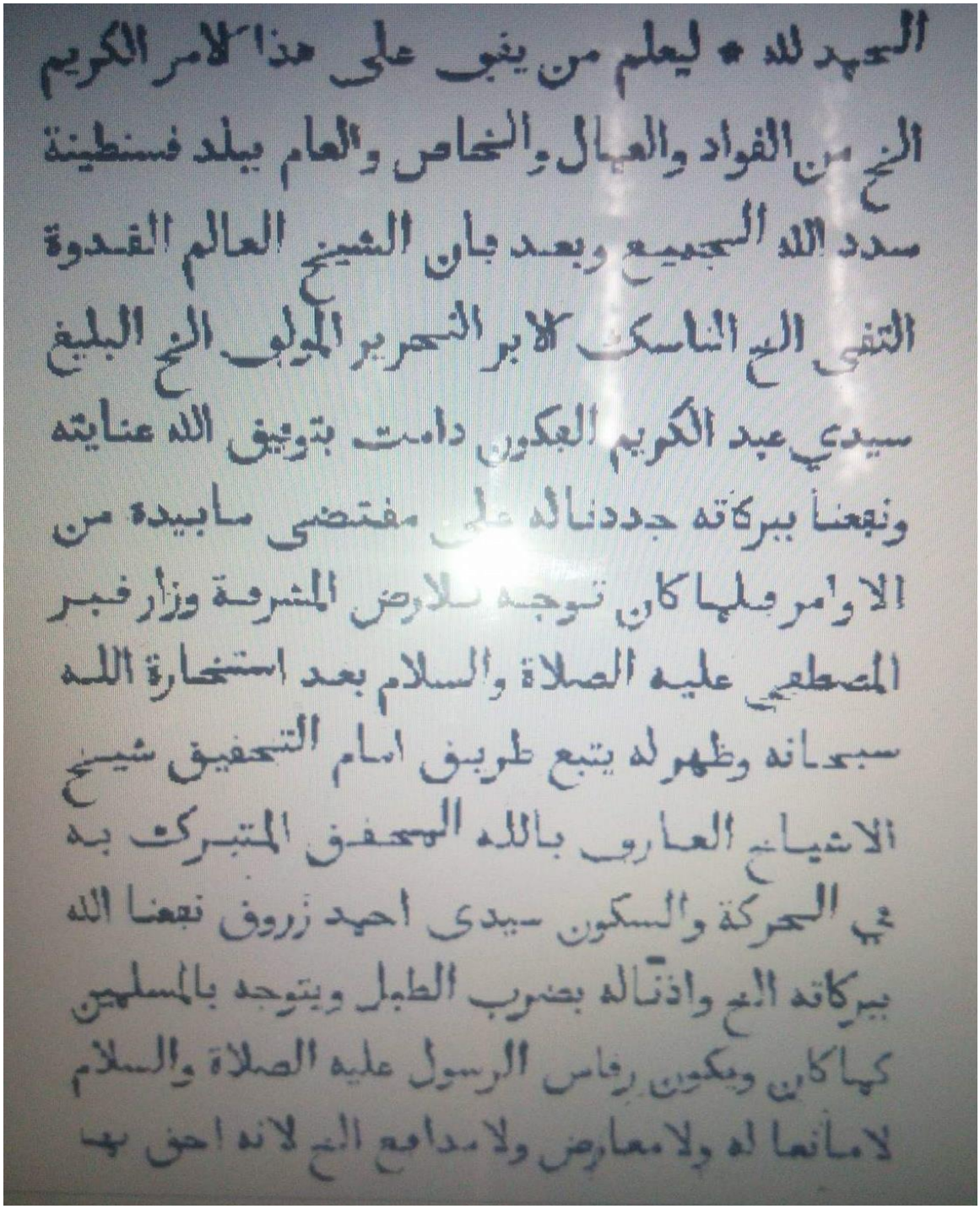
الحمد لله * ليعلم من يغبى على هذا الامر الكريم
الخ من القواد والعمال والخاص والعام ببلد قسنطينة
سدد الله الجميع وبعد فان الشيخ العالم القدوة
التقي الخ الناسك الابر النحرير المولى الخ البليغ
سيدي عبد الكريم الفكون دامت بتوفيق الله عنايته
ونفعنا ببركاته جددنا له على مقتضى ما بيده من
الاوامر فيها كان توجه للارض المشرفة وزار قبر
المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد استخارة الله
سبحانه وظهر له يتبع طريق امام التحقيق شيخ
الاشياخ العارف بالله المحقق المتبرك به
في الحركة والسكون سيدى احمد زروق نفعنا الله
ببركاته الخ واذنا له بضرب الطبل ويتوجه بالمسلمين
كما كان ويكون رفاس الرسول عليه الصلاة والسلام
لامانعا له ولا معارض ولا مدافع الخ لانه احق به

Ernest mercier. Eièvation de …, op-cit,p 18. -

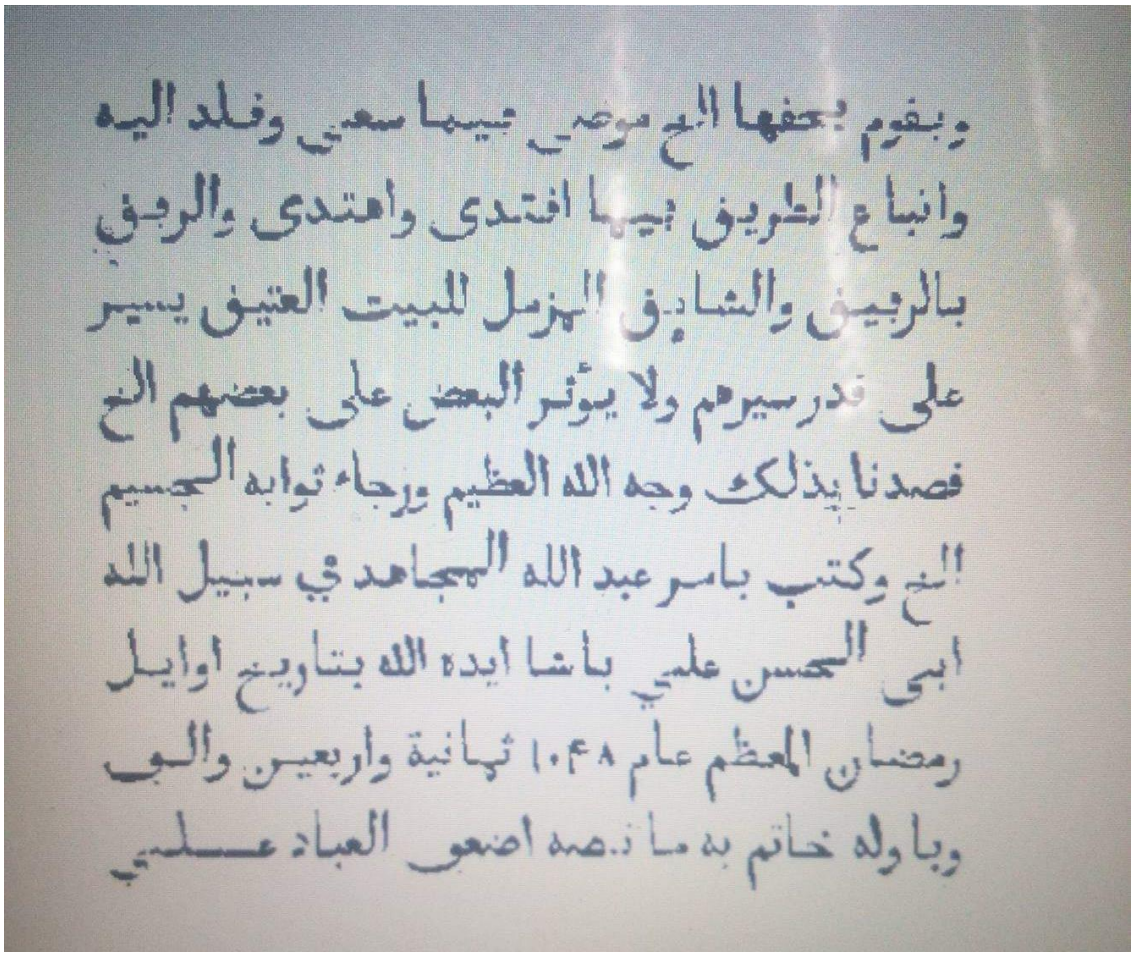
وبقوم بحفها الخ موصي فيهما سعي وفلد اليه
وانباع الطريق فيها افتدى واهتدى والرفق
بالرفيق والشابق المزمل للبيت العتيق يسير
على قدر سيرهم ولا يؤثر البعض على بعضهم الخ
فصدنا بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم
الخ وكتب بامر عبد الله المجاهد في سبيل الله
ابي الحسن علي باشا ايده الله بتاريخ اوايل
رمضان المعظم عام ١٠٤٨ ثمانية واربعين والف
وبا وله خاتم به ما نصه اضعف العباد علي

البيبليوغرافيا

1- المصادر:

- ابن أبي دينار أبي عبد الله ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ط 2 ، مطبعة الدولة التونسية ، المحمدية ، 1276هـ .

- ابن المبارك ابن العطار الحاج أحمد ، تاريخ بد قسنطينة ، تحقيق : عبد الله حمادي ، دار الفائز ، قسنطينة ، 2011م.

- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، لبنان ، 2000م.

- ابن قنفذ القسنطيني علي بن الخطيب ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق : محمد الشاذلي النيفر ، عبد المجيد التركي ، الدار التونسية ، 1986م .

- أحمد ابن أبي ضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، منشورات زخارف، تونس، 2016م .

- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، ط 2 ، عني به : داوود بخاري وأخرون ، دار الوعي ، الجزائر ، 2012م.

- الباجي المسعودي أبي عبدالله ، الخلاصة النقية لأمراء إفريقية ، ط 2 ، مطبعة بيكار ، تونس ، 1323هـ.

- البكري أبي عبد الله ، المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

- الحميري محمد بن عبد المومن ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط 2 ، تحقيق : احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984م.

- العنتري محمد بن صالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها ، تحقيق : يحي بوعزيز ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009م.

- العياشي أبو سالم بن محمد ، الرحلة العياشية 1661-1663م ، تحقيق : سعيد الفاضلي وأخرون ، دار السويدي ، الامارات ، ج2 ، 2006.

- الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية ، ط 1 ، تحقيق : أبو القاسم سعدالله ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1978م .

- الميلي محمد بن المبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، تقديم : محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب .

- الناصري أبو العباس أحمد ، الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرينية) ج 3 ، تحقيق: جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، 1954م .

- الورثيلاني محمد بن الحسين ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثيلانية) مطبعة بيير فونتانا ، الجزائر ، 1908م.

- الوزان الحسن بن محمد ، وصف افريقيا ، ط2 ، ترجمة : محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، ج1 ، 1987.

- خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة ، تحقيق : العربي الزبيري ، منشورات ANEP ، 2005م .

- شلوصر فندلين ، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837م ، ترجمة : أبو العيد دودو ، الجزائر ، 2007م .

- ياقوت الحموي شهاب الدين ، معجم البلدان ، ج4 ، دار البصائر ، بيروت .

2 – المراجع باللغة العربية .

- معاشي جميلة ، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10هـ-16م/13هـ-19م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، جامعة قسنطينة 2، 2015، ص 101.
- المطوي محمد العروسي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان .
- مجاهد مسعود ، تاريخ الجزائر ، ج 1 ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1966م .
- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب .
- مارمول كربخال ، إفريقيا ، ج 3 ، ترجمة : محمد حجي وأخرون ، دار المعرفة ، الرباط 1988م .
- عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط 1 ، دار ريحانة ، الجزائر ، 2002م.
- عطاالله الجمل شوقي ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب) ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977م .
- العروي عبد الله ، تاريخ مجمل المغرب ، ط 2 ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ج 2 .
- شالر وليام ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816 -1824م) ، تعريب : اسماعيل ياغي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
- السيد عمر سلمي عمر ، بنو وطاس في المغرب (1465هـ/1503م) ، قسم التاريخ ، جامعة الخرطوم .
- سعيدوني نصر الدين ، الشرق الجزائري (بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي) ، دار البصائر ، الجزائر ، 2013 م.

- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج 2 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2007م.

- حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط 1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009م .
- حسن حسيني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر ، ط 3 ، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس .
- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ط 2 ، مكتبة الحياة ، الجزائر ، ج1 ، 1965م .
- ج- أو.هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني ج –أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م) ، ترجمة : ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي ، تونس .
- التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم (عهد بني مرين) ، مكتبة الاسكندرية ، مج 7 ، 1988م .
- برنشفيك روبار ، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من (ق13 إلى نهاية ق 15م) ، ط1 ، ترجمة : حمادي الساحلي ، دار الغرب الاسلامي ، ج 1 ، 1988م.

- غطاس عائشة ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية .

3 – المذكرات و الرسائل الجامعية .

- شعباني بدر الدين ، المصنوعات المعدنية الجزائرية خلال العهد العثماني (10 – 13هـ/ 16–19م) ، أطروحة دكتوراه ، معهد الأثار ، جامعة الجزائر ، 2009م.

- حصام صورية ، العلاقة بين إيالتي الجزائر وتنوس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ ، جامعة وهران ، 2013م.
- موساوي فلة القشاعي ، النضام الضريبي في الريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، أطروحة دكتوراه .
- معاشي جميلة ، الانكشارية والمجتمع بايلمك قسنطينة فيالعهد العثماني ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ والأثار ، جامعة وهران ، 2008م.
- دحماني التوفيق ، الضرائب في الجزائر (1206-1282هـ/1792-1865م) ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2008م .
- السعدية قمرة ، الأسر النافذة ودورها الثقافي والاجتماعي بايلك الشرق الجزائري في العهد العثماني 1815-1830م (أسرتي الفكون والمقراني أنموذجا) ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ ، جامعة المسيلة ، 2018م .
- سعودي يمينة ، الحياة الأدبية في مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية ، مذكرة ماجيستير ، قسم اللغة العربية ، جامعة قسنطينة ، 2005م.
- العياشي الهواري ، المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ والأثار ، جامعة قسنطينة ، 2001م .
- دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة دراسة عمرانية أثرية ، معهد الأثار ، جامعة بوزريعة ، 2010م.
- بولحبال رياض ، أخبار قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق) ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ و علم الأثار ، جامعة قسنطينة ، 2010م.
- قويسم محمد ، مدينة قسنطينة ما بين القرنيين (07-10هـ/13-16م) ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 02 ، 2015م .

- بوخلوة حسين ، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وأثاره (988-1073هـ/1580-1663م) ، مذكرة ماجيستير ، قسم الحضارة الاسلامية ، جامعة السانية ، وهران ، 2009م .
- بلخوص الدراجي ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16-17م/10-11هـ ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ ، 2012م .
- بلحاج محمد ، مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ، ج 1 ، مذكرة ماجيستير ، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2007م .
- لزغم فوزية ، البيوتات و الأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/1520-1830م) ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الانسانية و الحضارية الاسلامية ، جامعة وهران ،2014م .

4 –المجلات .

– بوكرديمي نعيمة ، البيوتات والأسر العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي و إسهامها الثقافي ، مجلة العصور الجديدة ، العدد 18 ، قسنطينة ، 2015م .

– علال بن عمر ، قسنطينة في العهد الحفصي محور صراع وتنافس بين دول المغرب الاسلامي ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي.

– قشي فاطمة الزهراء ، معالم قسنطينة و أعلامها ، مجلة انسانيات ، عددان 19-20 / جانفي – جوان ،2033م.

– قويسم محمد ، فقهاء مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (625 – 981هـ /1227-1573م) ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، سكيكدة ، الجزائر.

- قشوان عبد الرزاق ، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936 – 1253 هـ / 1592–1837م) ، مذكرة ماجيستير ، قسم التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر 2 ، 2009 –2010م .

- القشاعي فلة موساوي ، النظام الضريبي في الريف القسنطيني ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1993م.

5 / المراجع باللغة الأجنبية

- ERNEST MERCIER , CONSTANTINE AU XVLe SIECLE ELEVATION DE LA FAMILLE– ELFGGOUN , TYPOGRAPHIE LARNOLT –AD , BRAHAM , CONSTANTINE , 1879 .
- ERNEST MERCIER , HISTOIR DE CONSTANTINE PAR ERNEST MERCIER , BIBLIOTHEQUE DE FRANCE , 1903 .
- GRANGAUD ISABALLE , HISTOIR SOCIALE DE CONSTANTINE AU XVIIM SIECLE , ECOLE DES HAUTES ETUDES EN SCIENCES SOCIALE (ECHES) , Française , 1998.

الفهـــــارس

1-فهرس الأعلام:

-أبا االقاسم بن ابي يحي 33.

-أبا بكر بن موسى 31.

-أباالحسن علي بن يوسف الهمذاني 33.

-إبراهيم الخليل عليه السلام 12.

-ابن العنتري 65، 66، 82.

-ابن الفكون 62، 71، 72، 74، 80، 81، 82، 84، 85.

-ابن القاضي 47.

-ابن المبارك63، 77، 83.

-ابن النعمان 30، 31.

-ابن باديس 41، 62، 77.

-ابن قالون 37.

-ابن قانة 26، 27.

-ابن قنفذ القسنطيني 15.

-ابن كلداس 31.

-ابن مبارك العطار 14.

-ابن نعمون 77، 78.

-أبو العباس 37، 38.

-أبو الفضل الحفصي 40.

-أبو القاسم سعد الله 47.

-أبو تاشفين الزياني38.

-أبو حمو الزياني 37.

-ابو زكريا 29، 30، 31، 34، 35.

-أبو عبد الله الملقب بالمنتصر 31.

-أبو فارس ابن اسحاق 32، 38، 41.

-أبي اسحاق 31، 32، 34.

-أبي الحسن الحفصي 43، 44.

-أبي الحسن المريني 39.

-أبي الفضل بن يحي الفكون 76.

-أبي القاسم الفكون 49.

-أبي عبد الله محمد 34، 37.

-أبي عمر حفص 22.

-أبي عمرو عثمان 43.

-أبي محمد الحسن 34.

-أبي يحي أبي بكر الحفص 37.

-أحمد المقري 74.

-أحمد باي 56.

-احمد بن الخطيب 15.

-أريوس باكتوس 20.

-الحسن الوزان 9، 13.

-الحميري 8.

-الرسول صلى الله عليه وسلم 15، 78.

-العنتري 47، 49.

-العياشي 79.

-المسيح عليه السلام 12، 17، 18.

-المقراني 25، 26.

-الناصري 39.

-الواثق 32، 34.

-الورثيلاني 12، 13، 71.

-بكري 52.

-بلكين بن زيري 21.

-بوجناح 52.

-بوعكاز 24، 26، 27، 85.

-بونيفاص 20.

-جون هابسترايت 14.

-حسن ابراهيم بن ثابت 33.

-حسن آغا 64.

-خير الدين 42، 45، 47، 49، 64، 84، 85.

-درغوث 44.

-رمضان تشولاق 49، 81.

-سيفاكس 18.

-شارلكان 85.

-صالح باي 53، 60، 76.

-صالح خوجة بن مصطفى 64.

-صالح رايس 49.

-عبد الرحمان الجيلالي 72.

-عبد الرحمان باي بن فرحات 50.

-عبد القادر الراشدي 70.

-عبد الكريم الفكون 15، 44، 59، 64، 66، 71، 72، 73، 74، 76، 77، 78، 79، 81.

-عبد اللطيف مصباح 81.

-عبد المومن 22، 27، 44، 48، 49، 62، 63، 64، 65، 66، 77، 80، 82، 83.

-عروج 42، 45.

-علي باشا79.

-عمر الفكون 73.

-فايسيت 47، 80.

-فندلين شلوصر 9، 52.

-فونتير ديبارادي 52.

-قسطنطين 14، 19، 20.

-ليمبري 47.

-مارمول كرنجال 19، 53.

-ماسينيسا 13، 17، 18.

-ماكساس 19.

-محمد بن أبي زكريا 39.

-محمد بن تافرجين 40.

-محمد عبد الكريم الفكون 73، 74، 79.

-مراد باي 68.

-ميرسي 18، 47، 77.

-ياقوت الحموي 11.

-يحي بن محمد الفكون 65، 80، 83.

-يغمراسن 31، 36.

-يوسف باشا 49، 84، 85.

-يوغرطة 19.

2- فهرس الأماكن:

-اسبانيا 18، 43، 45.

-اقليم الزيبان 65.

-الأندلس22، 31،30.

-البويرة 10.

-الجامع الأعظم 73.

-الجزائر 7، 8، 9، 15، 17، 20، 21، 22، 23، 26، 27، 30، 37، 43، 45، 47، 49، 51، 75، 79، 83، 54، 85.

-الجزيرة العربية 71.

-الحجاز 24.

-السابقة الحمراء62.

-السوس21.

-القالة 24، 51.

-القاهرة21.

-القل 23، 24، 51.

-القيروان 21، 40.

-المدية22، 51.

-المغرب 11، 21، 24، 29، 41، 45، 55.

-المغرب الأدنى 24.

-المغرب الأوسط 26، 29، 30.

-المهدية 43.

-أم البواقي 7.

-باب الجابية 9، 68.

-باب الجديد 9.

-باب القنطرة 9.

-باب الواد 9.

-بجاية 22، 23، 30، 32، 33، 36، 37، 39، 40، 41، 43، 45، 51.

-برج حمزة 10.

-بسكرة 21، 31، 62.

-بلاد الزاب 21، 30.

-بنزرت 45.

-تامزدقت 35.

-تلمسان 29، 30، 31، 35، 36، 38، 51.

-تنس 34، 35.

-تونس 9، 21، 25، 30، 32، 33، 34، 36، 37، 40، 41، 42، 43، 44، 46، 51، 52، 55، 60، 65، 85.

-جبال الأطلس 7.

-جبال الأوراس 7، 21، 24، 71.

-جبال البابور 24.

-جربة 43.

-جرجرة

-جيجل 51.

-دلس 43.

-سبتة 35.

-سردينيا 52.

-سطيف 22.

-سكيكدة19،7، 51.

-صفاقص 17.

-طرابلس 21، 30، 36، 43، 79.

-عنابة 7، 24، 51، 52.

-قالمة 7.

-قرطاج 20.

-قرطاجة 14.

-قسنطينة 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 21، 23، 24، 25، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 37، 39، 40، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 70، 71، 73، 74، 76، 77، 78، 79، 81، 83، 85.

-قصر طينة 15.

-مازونة 35.

-مراكش 36.

-مصر 24.

-مكناسة 35.

-مليانة 22، 35.

-ميلة 7، 8، 19.

-نوميديا 12، 17، 23، 62.

-واد الصومام 7.

-وهران 35، 51.

فهرس الموضوعات

إهداء

مقدمة .....أ

الفصل الأول: قسنطينة الموقع والأصالة **07**

أولا: الموقع وأصل التسمية 07

1-الموقع الفلكي والجغرافي 07

2- أصل التسمية 11

ثانيا: قسنطينة التاريخ والمكان 17

1- قسنطينة عبر التاريخ 16

1-1- قسنطينة في الفترات القديمة 16

1-2- قسنطينة تحت الحكم الإسلامي 19

2- التركيبة السكانية لمدينة قسنطينة والقوى المحلية 22

2-1- التركيبة السكانية 22

أ- بداية الاستيطان 22

القبائل الهلالية في الشرق الجزائري 23

2-2- ظهور القوى المحلية ببايلك الشرق 24

الفصل الثاني: قسنطينة ما بين العهد الحفصي والعثماني 28

أولا: قسنطينة خلال العهد الحفصي 28

1-الأوضاع الداخلية لقسنطينة في العهد الحفصي 28

2-الصراعات الخارجية 34

قسنطينة اواخر العهد الحفصي 41

ثانيا: قسنطينة خلال العهد العثماني 43

1- الأوضاع السياسية 43

2- الأوضاع الاقتصادية 49

3- الأوضاع الاجتماعية 55

الفصل الثالث: القوى المحلية في مدينة قسنطينة وموقعها من الوجود العثماني (عائلة الفقون وعبد المومن انموذجا) 60

أولا: اسرة ابن عبد المومن وموقفها من الوجود العثماني 60

أصل الأسرة 60

مكانتها 61

موقفها من الوجود العثماني 63

ثانيا: أسرة ابن الفقون 67

1- أصل الأسرة 67

2-1- مكانة أسرة ابن الفقون مكانتها الثقافية 69

2-2-مكانتها الاقتصادية 72

2-3-مكانتها السياسية 73

2-4-مكانتها الاجتماعية 74

3- موقفها من الوجود العثماني 77
خاتمة 83
الملاحق 86
- البيبليوغرافيا 96
- فهرس الأعلام والأماكن.....104
- فهرس الموضوعات.....115